بســم الله الرحمــن الرحيــم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا

أما بعد : بعون الله وتوفيقه نبدأ في تفريغ شرح الوصية الصغرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى والتي شرحها الشيخ عبد الرزاق البدر في ستة أشرطة نسأل الله التوفيق والسداد آمـين

الإثنين ٣٠ ماي ٢٠١١ م

الموافق لـ : ٢٧ جمادى الثاني ١٤٣٢ هـ

بسـم الله الرحمـن الرحيــم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد:

فهذه وصية مباركة عظيمة جديرة النفع غزيرة الفائدة كتبها العلم الهمام والشيخ الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بناءا على طلب سائل فاضل وشيخ كريم من علماء المغرب، طلب من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن يكتب له وصية، وسيأتينا نص سؤال هذا الفاضل ومافيه من رغبة واضحة وحرص بين على الخير، وكان من ثمار هذا السؤال وثمرته العظيمة أن بقي جوابه كتابا ورسالة تقرأ ويستفيد منها طلاب العلم بين وقت، وآخر وفي زمن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قرءت عليه، قرءها عليه عدد من طلابه رحمه الله تعالى، وهي وصية نفيسة يحتاج إليها كل طالب علم ، يحتاج إليها كل مسلم لما حوته من خير ونفع ووصية جامعة، وتعرف هذه الوصية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى " بالوصية الصغرى" كما أنها تعرف كذلك " بوصية شيخ الإسلام لأبي القاسم السبتي " نسبة إلى بلد هذا العالم السائل الفاضل الذي وجه لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى السؤال، وهومن أهل سبتة من بلاد المغرب، و سبتة بكسر السين وهي بلدة مطلة على البحر المتوسط ومنها ترى إسبانيا وجبل طارق فهي في أقصى المغرب، و من هذه البلدة العالم المعروف صاحب التصانيف العديدة القاضي عياض فهو من أهالي سبتة، وله كتب عديدة مطبوعة من بينها كتاب يقال له " مشارق الأنوار على صحاح الأخبار" وهو كتاب مطبوع، امتدح هذا الكتاب أحد الأفاضل فقال : مشارق أنوار تجلت بسبتة أي ببلدة سبتة التي منها القاضي عياض ، مشارق أنوار تجلت بسبتة ومن عجب كون المشارق في الغرب، لأن سبتة في أقصى الغرب فيقول : من عجب أن المشارق جاءت من الغرب يعني بذلكم كتاب مشارق الأنوار، الشاهد أن أبا القاسم السبتي . وسيأتي إشارة إلى تعريف مختصر به . طلب من شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن يكتب له وصية جامعة في العلم والعبادة والتجارة و الارتزاق "وصية جامعة" حدد موضوعات ما طلب من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن يوصيه به، فعرفت بوصية شيخ الإسلام لأبي القاسم السبتي نسبة إلى السائل، ونحن نعلم أن أكثر كتب شيخ الإسلام تنسب إلى البلدان، وأكثر كتب شيخ الإسلام مبنية على أسئلة وجهت إليه، بل إنه نقل عنه رحمه الله تعالى أنه قال : " ما كتبت كتابا إلا بناءا على السؤال و بناءا على طلب" ، وهذه الرسالة هي بناءا على طلب هذا السائل. تعرف بالوصية الصغرى لصغر حجمها، لأن ابن تيمية رحمه الله له وصية أخرى أوسع منها من حيث الحجم

وعدد الأوراق تعرف بالوصية الكبرى، فعرفت هذه الوصية وصيته لأبي القاسم السبتي بالوصية الصغرى تمييزا لها عن الوصية الأخرى التي هي أكبر حجما وتعرف بالوصية الكبرى، وإلا في الحقيقة كل من الوصيتين كبرى ، كل من الوصيتين وصايا كبرى عظيمة، لكن قيل عن هذه الوصية{ الصغرى } نظرا إلى حجمها مقارنة بالوصية الأخرى، وكل من الوصيتين مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، أما الوصية الكبرى فهي في المجلد الثالث من صفحة ٣٦٣ إلى ص ٤٣٠ ، أي ما يقارب من ٧٠ صفحة، والوصية الصغرى في المجلد العاشر من صفحة ٦٥٣ إلى ص ٦٦٦ ، أي في١٣ صفحة، وهذا هو السبب الذي لأجله إحداهما سميت الصغرى وهي هذه الوصية والأخرى سميت الكبرى نظرا للحجم ، حجم كل من الوصيتين من حيث الصفحات وعدد الأوراق لا من حيث الموضوع والمضمون، أما من حيث المضمون والموضوع فكل منهما وصية كبرى كما أسلفت، ثم أيضا الذي يظهر والله أعلم أن هاتين التسميتين متأخرتان يعني عرف بذلك في وقت متأخر، أما في الكتب المتقدمة التي ذكرت مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إنما ذكرت الوصيتين نسبة إلى السائل أو من كتبت له ، فالوصية الصغرى تعرف بوصية شيخ الاسلام لأبي القاسم السبتي كما قدمت، و الكبرى تعرف بوصية شيخ الإسلام ابن تيمية لأتباع عدي ابن مسافر، وعدي ابن مسافر كان معروفا بالعبادة والزهد والمواعظ وكان يؤثر في الناس تأثيرا عظيما، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية :"كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ المتبعين وله في الأمة صيت ولسان صدق مذكور"، لكن وجد في طائفة كبيرة من أتباعه فيما بعد مغالاة فيه وإضافة أمور لايليق أن تضاف إلى بشر من باب الغلو والإطراء وزيادة الحد في المدح والثناء، فوقع بعض أو طائفة من أتباعه في الغلو في هذا الامام، فكتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله نصيحة لهؤلاء ووصية عظيمة جدا. ومن باب الإشارة والتنبيه أقول : من كان من الدعاة وطلبة العلم يوجد في أهله وفي بلده وفي مجتمعه من هم على جانب من الانحراف الطرقي أو المغالاة أونحو ذلك عليه أن يستفيد من وصية شيخ الإسلام لأتباع عدي ابن مسافر، ينظر كيف دخل عليهم وكيف خاطبهم وكيف تلطف بهم حتى يستفيد من الطريقة إضافة إلى الاستفادة من العلم المتين الذي يقرره رحمه الله تعالى، لأن طريقة الدخول على الناس ولاسيما من عنده انحراف تحتاج من الداعي إلى الله تبارك وتعالى والواعظ والمذكر إلى شيء من الحكمة وإلى شيء من فتح القلوب بأسلوب مناسب وكلمات طيبة وتدرج معه بالخطاب حتى يصل معه إلى مايكون عليه فيه بإذن الله تأثير بذلك وفائدة، فحقيقة من يقرأ وصية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأتباع عدي ابن مسافر، وكان عندهم أنواع من الانحرافات، وكيف خاطبهم خطابا لطيفا رفيقا متدرجا حكيما نافعا حتى وصل معهم إلى المقصود في معالجة مالديهم من انحراف، وبيان مالديهم من خلل وأخطاء .

حديثنا هو عن هذه الوصية المعروفة بالصغرى، وصية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأبي القاسم السبتي، وأبو القاسم هذا له ترجمة في معجم المحدثين ومعجم الشيوخ، وكلاهما للإمام الذهبي رحمه الله تعالى، وفي الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر رحمه الله ، وفي الوافي بالوفيات للصفدي، والترجمة التي ذكرت له ترجمة مقتظبة توضح شيئا وجانبا من حياته، وكان مما عرف به أنه رجل رُحلةٌ صاحب رحلة وتنقل بين البلدان، وجمع مااستفاده رحمه الله تعالى في رحلاته ولقاءاته بالشيوخ وسماعاته منهم وأخذه عنهم (جمع ذلك) في كتاب مطبوع بعنوان برنامج التجيبي، وذكر أيضا لقاءه بشيخ الإسلام وطلبه من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن يوصيه، وذكر نقلا مختصرا انتفع به من هذه الوصية التي أوصاه بها شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، ويأتي الإشارة إليه. وأبو القاسم : هو أبو القاسم القاسم ابن يوسف(طابق اسمه كنيته) ابن محمد ابن علي التجيبي السبتي المغربي النجّار، له ترجمة كما قدمت في معجم المحدثين ومعجم الشيوخ للذهبي والدرر الكامنة لابن حجر والوافي بالوفيات للصفدي، قال عنه الذهبي رحمه الله : (الإمام المحدّث الرّحال علم الدين ولد في حدود سنة ٦٧٠ هـ، وقيل توفي في حدود سنة٧٣٥هـ)، له برنامج مطبوع بعنوان برنامج التجيبي ضمنه ماتلقاه من مرويات ومسموعات في رحلاته، وذكر فيه استتفادته من هذه الوصية التي طلب هو من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن يوصيه بها، فيقول في برنامجه : وكان من جملة الوصية التي أوصاني بها التقي الفاضل أبو العباس ابن تيمية أن قال: ما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن إسماعيل وهذا النص سيأتي معنا في هذه الوصية قال : ما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن إسماعيل (وهذا النص سيأتي معنا في هذه الوصية)، قال أبو القاسم: وصدق ابن تيمية، والله يفهمنا ما فيه ويرشدنا للعمل بمقتضاه بمنه وكرمه، هذه المقولة منه تدل حقيقة على أنه أحسن الاستفادة من كلام شيخ الإسلام، وسترون في الوصية تركيز شيخ الإسلام رحمه الله على جانبين، جانب الفهم وجانب العمل يؤكد عليهما، فلا يزال الرجل يذكر تأكيد شيخ الإسلام على عقل المعاني وفهم الدلالات وعلى العمل والاتباع وفعل ما يتعلمه المتعلم والمتلقي، ولهذا يقول: صدق ابن تيمية، والله ُيفهمنا مافيه ويرشدنا للعمل بمقتضاه، لأن شيخ الإسلام كان يؤكدعلى قضية الفهم ويؤكد على قضية العمل، وسيمر معنا ذلكم في مواضع من هذه الوصية العظيمة المباركة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .هذه الوصية لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى كتبها وعمره لم يبلغ ستا وثلاثين {٣٦} سنة ، ومع ذلكم كان السائل(أعني أبا القاسم التجيبي السبتي المغربي) ، لما طرح السؤال على شيخ الإسلام كان يقول في وصفه له: بقية السلف وقدوة الخلف أعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب، والرجل الذي يقول هذه الكلمة رجل رُحلةٌ، رجل صاحب رحلات ولقاءات بالعلماء في البلدان (يتنقل في البلدان)، ويقول في طرحه لهذا السؤال: أعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب، لما قال هذه الكلمة في حق شيخ الإسلام رحمه الله تعالى لم يبلغ عمره وقت إذ ٣٦ سنة، فكان

من وقت مبكر من عمره عرف بإمامته وفضله ونبله وعلمه وانتشر صيته في الآفاق وعرفت مكانته، وكان الكتاب إذا صدر منه يلقى قيمة كبيرة(ليس في بلده وإنما في البلدان)، يدل لكون شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كتب هذه الوصية في هذا السن من عمره أنه وجد في آخر إحدى نسخ هذه الوصية الخطية سماع لهذه الوصية على المصنف، مجموعة من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية منهم أخوه عبد الله المعروف بشرف الدين، ومجموعة من تلاميذ شيخ الإسلام قرؤوها عليه في ليلة قرؤوها عليه وسجلوا سماعهم على النسخة الخطية، وكثير من المخطوطات(وهذا يدركه المتمرس في مطالعة المخطوطات) يجد في أول المخطوط أو في آخره سماعات لأهل العلم، وهذه السماعات من الأهمية بمكان، يستفاد منها فوائد عظيمة جدا، ومما استفدناه من هذا السماع تحديد التقريب لوقت تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لهذه الوصية، حدد تاريخ ذلك السماع بليلة الثالث من ربيع الآخر سنة(٦٩٧) هـ في دار الحديث بدمشق، سنة ٦٩٧ هـ حصل هذا السماع، ولا يلزم من ذلك أن يكون ألّف شيخ الإسلام هذه الرسالة قبل هذا السماع بأيام أونحو ذلك، قد يكون قبله بأشهر أو بسنة أو نحو ذلك الله أعلم ؟ لكنها نستفيد من ذلك أنها مؤلفة قبل هذا التاريخ الذي هو (٦٩٧) هـ، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما هو معلوم ولد سنة (٦٦١) هـ أي ٣٦ سنة، فألفت هذه الرسالة وعمر شيخ الإسلام ابن تيمية أقل من (٣٦ سنة)، وفي هذا العمر تقريبا أيضا كتب رحمه الله تعالى العقيدة الواسطية، وأيضا قريبا من هذا التاريخ كتب الحموية وعددا من كتبه وتصانيفه رحمه الله تعالى، هذه المقدمة بين يدي هذه الوصية، أما من حيث المضمون والموضوع فكما قدمت هي وصية كبرى جامعة ليست صغرى ، وصية كبرى جامعة جمعت خيرا عظيما وفضلا كبيرا ونفعا وفائدة، وشملت هذه الوصية في مضامينها جانب التقوى وجانب العبادة والعمل وجانب السلوك والأخلاق و الأدب وجانب أيضا طلب العلم وبما يبدأ به طالب العلم، وأيضا جانب طلب الرزق ، شملت جوانب عديدة كتبها رحمه الله بإيجاز واختصار لكنها مع وجازتها واختصارها حوت خيرا عظيما وفائدة كبيرة نسمع أولا سؤال هذا السائل رحمه الله .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :

جاء في الوصية الصغرى سؤال أبي القاسم المغربي قال : يتفضل الشيخ الإمام بقية السلف وقدوة الخلف، أعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية بأن يوصيني بما يكون فيه صلاح ديني ودنياي، ويرشدني إلى كتاب يكون عليه اعتمادي في علم الحديث، وكذلك في غيره من العلوم الشرعية، وينبهني على أفضل الأعمال الصالحة بعد الواجبات، ويبين لي أرجح المكاسب، كل ذلك على قصد الإماء والاختصار، والله تعالى يحفظه والسلام الكريم عليه ورحمه الله وبركاته .

هذا الآن السؤال الذي حرره وكتبه أبوالقاسم السبتي المغربي، وقدم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وشيخ الإسلام رحمه الله كان عنده سخاء في العلم عجيب للغاية، إضافة إلى سخائه بماله، و من يقرأ منزلة السخاء في "مدارج السالكين" يقف على جوانب مشرقة وعجيبة ومضيئة من ذكر ابن القيم وهو من خواص تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية لسخاء شيخ الإسلام رحمه الله، كان عنده سخاء عجيب حتى إنه ذكر من سخائه أن زائره إن رأى بين يديه كتابا مهما كانت نفاسته وقيمته ومكانته وحاجة شيخ الإسلام إليه إن طلبه لم يرده، وكان بعض طلابه قد يلومونه في ذلك لحاجته إليه، ولعلمه بحاجته ما كان يرده، ويقول له أرد من طلب كتابا، وإذا سئل رحمه الله لا يكتفي في الإجابة بالإيجاز، مثل هذا السؤال قد يطرح على أحد فيعطي كلمة واحدة مثلا أو كلمتين، بينما شيخ الإسلام كان يبسط الجواب بسخاء نفس ونصح ولطف ودعاء وعبارات جميلة جدا وإيضاح وبيان، وكثيرا ما كان يعتذر رحمه الله تعالى من السائلين لأن هذا الذي سمحت به الورقة، أي ما عنده ورق يكفي حتى يبين له، وأحيانا الورقة التي تأتيه من السائل يكتب على وجهها و على قفاها ثم يعتذر في آخرها أن هذا الذي سمحت به مثل هذه الورقة ،وكثير من الفتاوى فيها هذا اللفظ، يعتذر شيخ الإسلام، وهذا أيضا من سخائه رحمه الله تعالى، فالسائل طرح هذا السؤال على شيخ الإسلام ابن تيمية طالبا وصية، وحدد ما يريد بهذه الوصية، قال: يوصيني بما يكون فيه صلاح ديني ودنياي هذا أولا، الأمر الثاني: يرشدني إلى كتاب يكون عليه اعتمادي في علم الحديث، الأمرالثالث: ينبهني على أفضل الأعمال الصالحة بعد الواجبات ، ما هي أفضل الأعمال الصالحة بعد الواجبات ؟ يعني بعد الفرائض وواجبات الدين ، الأمر الرابع:يبين لي أرجح المكاسب، يعني في تجارتي أو زراعتي أو صناعتي أو غير ذلك ، ماهي أرجح المكاسب ؟ بماذا ينصحني في هذا الباب ؟، فتقريبا هذه أربع سؤالات، أراد هذا السائل من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن يكتب له فيها، ثم ختم ذلك بقوله: كل ذلكم على قصد الإيماء والاختصار، وهذا أيضا من أسباب وجازة هذه الرسالة، لأن موضوعاتها موضوعات عظيمة و تحتمل بسطا طويلا وبيانا موسعا، لكن السائل أيضا رغب من شيخ الإسلام ابن تيمية أن تكون على سبيل الإيماء والاختصار، فكتب وراعى أيضا طلب هذا السائل فكانت على سبيل الإيماء والإيجاز والاختصار، هذا سؤال السائل. ومما ينبه عليه في هذا المقام أن أجوبة العلم كما أنها فيها بركة ونفع، فإن سؤالات السائلين أيضا فيها نفع وبركة ، كم من إنسان مثلا اهتدى في مجلس بسبب سؤال سائل، يكون السائل ناصحا راغبا في فائدة المسلمين و يصدرمنه السؤال عن رغبة صادقة وحرص على نفع الناس وربما دعوات صادقة أن يبارك الله في سؤاله وأن ينفع به، ثم يطرح السؤال ويكون سببا لانتفاع الحاضرين أو انتفاع السائل أو انتفاع خلق لا يحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى بعد ذلك كما هو الشأن في هذا السؤال الذي كتبه أبو القاسم، فكتب هذا السؤال فأجاب شيخ الإسلام بهذه الإجابة المختصرة العظيمة النفيسة ، قرءت على شيخ الإسلام في حياته واستفاد منها طلابه

وأفادوا منها الناس، ولا يزال أهل العلم وطلابه يستفيدون منها بين وقت وآخر على مر الزمان، فهذا حقيقة مما يدعو طالب العلم إلى أن يحرص على الصدق والإخلاص والنصح في السؤال الذي يطرحه، لأن الناس يتفاوتون في السؤالات ، أغراض الناس في السؤالات التي تطرح متفاوتة ، من الناس من يطرح سؤالا ويريد شرا، يطرح سؤالا ويريد فتنة، يطرح سؤالا ويريد إثارة شبهة وإحداث بلبلة إلى غير ذلك من الأغراض، ولا يقبل الله سبحانه وتعالى من سؤالات السائلين إلا ما كان خالصا لوجهه وابتغاء مرضاته وفيه الحرص على نفع الناس أونفع الآخرين، وانظر مثالا في النصح في السؤال في وفد عبد القيس لما جاءوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام والحديث في الصحيحين، قالوا : يا رسول الله لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بقول فصل نخبر به من ورائنا وندخل به الجنة، هذا هو الغرض نخبر به من ورائنا وندخل به الجنة، فالسؤال حقيقة النافع هو الذي يريد به السائل أن يرفع به جهلا عن نفسه وأن يرفع به جهلا عن غيره، ولهذا ينقل عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: العلم لا يعدله شيء إذا صلحت النية، قيل وما صلاحها ؟ قال : أن تنوي به رفع الجهل عن نفسك وعن غيرك ، والسؤال كذلك، السؤال ينبغي على السائل ومن يطرح السؤال أن ينوي به رفع الجهل عن نفسه أو رفع الجهل عن الآخرين بما ينفعهم ويحقق لهم الفائدة العظيمة والنفع في دينهم وعبادتهم وتقربهم إلى ربهم عز وجل. هذا السؤال للسائل ، نعم.

فأجاب : الحمد لله رب العالمين، أما الوصية فما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله لمن عقلها واتبعها قال تعالى : « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله »

ووصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا لما بعثه إلى اليمن فقال : « يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن »، وكان معاذ رضي الله تعالى عنه من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة علية فإنه قال له : يا معاذ والله إني لأحبك ، وكان يردفه وراءه، وروي فيه أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام، وأنه يحشر أمام العلماء برتوة أي بخطوة، ومن فضله أنه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عنه داعيا ومفقها ومفتيا وحاكما إلى أهل اليمن، وكان يشبهه بإبراهيم الخليل عليه السلام، وإبراهيم إمام الناس، وكان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول : إن معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا و لم يكن من المشركين، تشبيها له بإبراهيم.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم وصاه هذه الوصية، فعلم أنها جامعة، وهي كذلك لمن عقلها مع أنها تفسير الوصية القرآنية . الشرح:

بدأ شيخ الإسلام رحمه الله تعالى هذه الوصية بحمد الله رب العالمين ،" الحمد لله رب العالمين "، وهذا الحمد به بدأت سورة الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله جل وعلا، والحمد هو الثناء على الله جل شأنه مع

حبه، ويكون الحمد على المحاسن ويكون على الإحسان، الحمد يكون على المحاسن أي على صفات الجلال ونعوت الكمال و الأسماء الحسنى للرب سبحانه وتعالى، ويحمد عز وجل على أسمائه على صفاته على جلاله على عظمته على كماله على أفعاله جل وعلا، ويحمد أيضا على نعمه و إحسانه وفضله وإنعامه، فهو يحمد على هذا وهذا، على الإحسان وعلى المحاسن، يحمد على النعم والآلاء ويحمد على الأسماء والصفات، فبدأ بحمد الله رب العالمين،ثم دخل مباشرة في الموضوع قال: أما الوصية، لأنه طلب من شيخ الإسلام أن يوصيه، قال: أما الوصية، والوصية تعريفها: " أمر أو نهي بكلمة تجمع خيرا عظيما وفائدة كبيرة" ، الوصية إما أمر أو نهي: لأن الوصية قد تكون وصية بأوامر وقد تكون أيضا وصية بنواهي، تحذير بالنواهي، مثال الأول: أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لمعاذ ابن جبل : (يا معاذ والله إني لأحبك، يا معاذ أوصيك لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)، هذه وصية بأمر، والوصية بالنهي عن فعل أو نحو ذلك: الرجل الذي جاء للنبي عليه الصلاة والسلام وقال : (أوصني قال : لا تغضب)، هذه وصية، وهي نهي عن فعل، فالوصية إما أن تكون أمر بشيء أو نهي عن شيء أو تجمع الأمرين الأوامر و النواهي، كما أن تقوى الله سبحانه وتعالى فيما سيأتي بيان ذلك جامعة للجانبين فعل الأوامر و ترك النواهي(شاملة للجانبين)،إذا الوصية هي إما أمر أو نهي أو هما معا في كلمة جامعة تجمع خيرا كثيرا . قال : أما الوصية : يعني أما ما أوصيك به فما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لمن عقلها واتبعها ، و المراد بهذه الوصية: "التقوى"، تقوى الله عز وجل التي هي وصية الله للأولين والآخرين، كما سيأتي في الآية التي ذكرها شيخ الإسلام، وهي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأمته كما يأتي في حديث معاذ، وأتت في أحاديث كثيرة عنه صلوات الله وسلامه عليه الوصية بتقوى الله جل وعلا. لاحظ هنا أن شيخ الإسلام . وهذا من دقيق نصحه وجميل بيانه . أنه رحمه الله مباشرة ذكر النصيحة بآية قرأها وحديث ذكره، وهذا حقيقة من بديع النصح وجميل البيان وربط بكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، فرأسا لما أوصى أوصى بالكتاب والسنة، وإنما قدم بمقدمة يحرك فيها السامع و المتلقي إلى العناية بما سيذكر له من كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، ولهذا لاحظ، لم يقل رحمه الله: أما الوصية فأوصيك بتقوى الله تعالى، لم يقل هكذا ، أما الوصية فأوصيك بتقوى الله تعالى فإن تقوى الله.. وأخذ يبين ثم ذكر الآية والحديث، وإنما مباشرة جعله يأخذ الوصية بالتقوى من الآية نفسها، ومن الحديث نفسه مباشرة، وهذا من دقة بيانه ودقة نصحه رحمه الله تعالى ، قال: "أما الوصية فما أعلم وصية أنفع من وصية الله و رسوله لمن عقلها واتبعها"، هذه التقدمة ما هي إلا تحريك للقلب وللسامع والمتلقي حتى ينتبه للآية والحديث، وإلا فالوصية هي الآية والحديث مباشرة، قال : "ما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله عليه الصلاة والسلام"، لكن هذا النفع بوصية الله و الانتفاع بوصية الله ووصية رسوله عليه الصلاة والسلام مشروط بشرطين:" العقل

والاتباع"، قال: لمن عقلها واتبعها، وهذان شرطان أو قل ضابطان لابد منها لينتفع بهذه الوصية، فإن لم يوجدا أولم يوجد أحدهما لم يتبع في هذه الوصية، فمن لم يعقل الوصية.. لم يعرف معناها.. لم يدري المراد بها.." كيف يطبقها"، وقد قيل كيف يتقي من لا يدري ما يتقي . ،فالذي لا يعلم كيف يعمل بالوصية وهو أصلا فاقد للعلم، وفاقد الشيء لا يعطيه، فإذا الشرط الأول: أن يعقلها.. أن يفهمها.. أن يعيها..، يعقلها من العقل، والعقل(عقل الإنسان) سمي عقلا لأنه يعقل صاحبه . من العقال .، فيعقلها أي يكون ضابطا لها.. فاهما لها.. مستوعبا لها بعقله.. عارفا بمدلولها بمعناها.. بالمراد بها..،" لمن عقلها واتبعها" ،و اتبعها: أي عمل بها، فإذا إن عقلت الوصية واتبعت . يعني عمل بها . حصل الانتفاع، فإن لم تعقل، أو عقلت ولم تتبع ولم يعمل بها لم يحصل انتفاعا ، من لم يعقل الوصية فهو ضال . وهذه الوصية أعظم ما أوصى الله به .، فمن لم يعقل أعظم شيء أوصى الله به فهو ضال، ومن عقله ولم يعمل به فالله سبحانه وتعالى يغضب عليه، وأعظم وصية وأنفع وصية وصية الله للأولين والآخرين من خلقه" ألا وهي تقوى الله "، فمن لم يعرف التقوى التي أوصى الله بها الأولين والآخرين فهو إنسان ضال، ومن عرف التقوى التي أوصى الله بها الأولين والآخرين ولم يعمل بها يغضب الله سبحانه وتعالى عليه، ولهذا قيل : "من فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى، ومن فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود"، يعني الذي لا علم له فيه شبه من النصارى، ومن عنده علم لا يعمل به ففيه شبه من اليهود، ونحن نقرأ في سورة الفاتحة : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين) ، لهذا شيخ الإسلام أكد على قضية عقل الوصية وأيضا العمل بها. ولنرجع إلى كلمة السبتي . أبي القاسم رحمه الله . لما ذكر وصية شيخ الإسلام له بكتاب صحيح البخاري، أعقب ذلك بقوله : والله يفهّمنا ما فيه، لأن ابن تيمية أكد كثيرا في وصيته له على عقل الوصية وفهمها، فقال : والله يفهّمنا ما فيه ويرشدنا للعمل بمقتضاه، و بهذه الدعوة التي دعى بها أبا القاسم نحن جميعا ندعوا، نسأل الله عز وجل الكريم رب العرش العظيم أن يفهّمنا جميعا ما في هذه الوصية من علم وخير وفائدة وأن يرشدنا للعمل بمقتضاها إنه تبارك وتعالى سميع قريب مجيب.

قال رحمه الله قال الله تعالى : « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أن اتقوا الله »، هذه وصية رب العالمين، هذه وصية عظيمة من أجلّ وأعظم موصي وهو رب العالمين جل شأنه وسبحانه وتعالى، هذه وصية الله جلّ وعلا للأولين والآخرين، أوصى الجميع بتقواه سبحانه وتعالى، قال :« ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أن اتقوا الله »، فوصية الله سبحانه وتعالى للأولين والآخرين من خلقه" تقواه سبحانه وتعالى"، بهذا أوصى جل شأنه الأولين والآخرين من خلقه، ولهذا تجد هذه الوصية بالتقوى وذكر التقوى في القرآن من كلام الله سبحانه وتعالى متكررة كثيرا، حتى قيل: إنّ الأكثر لفظة تكررت . يعني من الألفاظ الشرعية . أكثر لفظة تكررت في القرآن هي هذه اللفظة "تقوى الله"، مما يدل على عظم شأن التقوى وعظم

مكانتها وأنها أعظم وصية ، ويكفي هذه الوصية عظما وجلالة ومكانة وقدرا أنها . كما دلت هذه الآية الكريمة . وصية الله تبارك وتعالى للأولين والآخرين من خلقه، وفي القرآن ذكر لمواضع كثيرة لثمار التقوى.. وآثار التقوى.. وحب الله للمتقين.. ومعيته للمتقين.. وأن العاقبة للمتقين.. إلى غير ذلكم من الثمار والآثار العظيمة والعواقب الحميدة التي جعلها الله تبارك وتعالى للمتقين . قال: ووصّى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا لما بعثه إلى اليمن ، فقال : « يا معاذ اتق الله حيثما كنت، و أتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن ». الأحاديث التي فيها وصية النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين وللصحابة بالتقوى كثيرة جدا، لكن ثمّة لطيفة لأجلها اختار شيخ الإسلام ابن تيمية "تحديدا" وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بالتقوى، مع أن هناك أحاديث كثيرة عامة ومقيدة فيها يوصي صلوات الله وسلامه عليه بتقوى الله، في حديث العرباض وأحاديث كثيرة جدا فيها الوصية بتقوى الله لأفراد ولعموم، فاختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لوصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لأمر ومقصد عظيم يأتي بيانه عقب الوصية، يأتي بيانه والتنبيه عليه لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عقب ذكر وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ، قال:" وصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا . أي معاذ ابن جبل الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه وأرضاه . لما بعثه إلى اليمن، والنبي عليه الصلاة والسلام بعثه إلى اليمن في السنة العاشرة قبل حجة الوداع، وقيل قبل ذلك، وبقي في اليمن قاضيا ومعلما وحاكما إلى حياة أوخلافة أبي بكر رضي الله عنه وجاء في خلافته ثم ذهب إلى الشام وتوفي هناك . رضي الله عنه وأرضاه .، قال له عليه الصلاة والسلام :« يا معاذ اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن »، هذه الوصية جمعت أمورا ثلاثة أوصاه النبي صلى الله عليه وسلم بها يأتي الحديث عنها مفصلا بعض الشيء في لقائنا القادم بإذن الله سبحانه وتعالى. قال: وكان معاذ رضي الله عنه بمنزلة علية، وسيبين منزلته العلية من وجوه عديدة، إذا لماذا خص النبي عليه الصلاة والسلام هذه الوصية بالتقوى لمعاذ . مع أن هناك وصايا كثيرة لأفراد ولعموم بتقوى الله سبحانه وتعالى . لماذا خص النبي عليه الصلاة والسلام هذه الوصية، ما الحكمة في ذلك، لاحظ الآن يقول: . ومعاذ رضي الله عنه بمنزلة علية، وسيذكر وجوه عديدة تبين علو منزلة معاذ، و تقريبا ذكر ستة وجوه كلها تدل على علو منزلة معاذ . رضي الله عنه . ورفعة مكانته، إذا لماذا انتقى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذه الوصية تحديدا . مع أن النبي صلى الله عليه وسلم نقلت عنه في أحاديث وصايا بالتقوى لأفراد ووصية بالتقوى أيضا لعموم .، ثم لما ذكر الوصية قال رحمه الله :" وكان معاذا رضي الله عنه بمنزلة علية" . ينبه رحمه الله بذلكم أن الشخص مهما كانت مكانته وعلت منزلته علما وعبادة وفضلا ونبلا فهو بحاجة إلى أن يوصى بالتقوى .، يكفيك قول الله سبحانه وتعالى في القرآن :« يا أيها النبي اتّق الله »، وهذا المعنى حقيقة يخفى على كثير من الناس بسبب ضعف الإيمان، وبعضهم ربما ينزعج من كثرة سماعه بالوصية بالتقوى، في خطبة.. أو موعظة.. أو كلام

عالم.. أو نصح.. ربما ينزعج من ذلك، وربما قال" وهل أنا لست من المتقين حتى يقول اتق الله، عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما قال له رجل وهو خليفة:" اتق الله " قال: لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نقبلها، هؤلاء يعرفون التقوى ومكانتها وحاجة العبد مهما كانت مكانته إلى أن يذكر بتقوى الله سبحانه وتعالى وإلى أن يوصى بتقوى الله. فمعاذ رضي الله عنه وأرضاه كانت له منزلة عالية: علما.. عبادة.. خلقا.. أدبا.. رفعة شأن .."علو منزلة"، ولما بعثه النبي عليه الصلاة والسلام قال له اتق الله حيثما كنت، ألم يكن معاذ قد سمع من النبي صلى الله عليه وسلم مرارا في خطابته.. وفي وصاياه للناس..، وكان يردفه . كما سيأتي معنى الحديث . يردفه النبي صلى الله عليه وسلم معه على الحمار . سمع مرارا. ولما أراد أن يذهب إلى اليمن قال له:" اتق الله حيثما كنت"، وشيخ الإسلام رحمه الله ينبه بذلك على أمر عظيم غاية: ألا وهو أن العبد مهما علت مكانته.. وارتفعت منزلته.. يحتاج ويحتاج ويحتاج إلى التقوى.. وإلى الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى..، فأراد أن يجلّي هذا المعنى فاختار وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ تحديدا، ثم أتبعها بعلو مكانة معاذ، وكأنه يقول: أن الشخص مهما علت مكانته يحتاج إلى أن يوصى بتقوى الله سبحانه وتعالى.قال: . ومعاذ رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة عالية . ،قال له:"يا معاذ والله إني لأحبك"، حلف له بالله، ومعاذ رضي الله عنه من صغار الصحابة ويخاطبه النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخطاب العظيم الذي يدل على كمال تواضع النبي عليه الصلاة والسلام وأيضا كمال نصحه صلى الله عليه وسلم ،"يا معاذ والله إني لأحبك، يا معاذ أوصيك: لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك "، هذا الآن وجه من الوجوه التي تدل على علو منزلة معاذ ومكانته العالية. الأمر الثاني: قال:" وكان يردفه وراءه . والنبي صلى الله عليه وسلم أردف عددا من الصحابة وراءه على الحمار، وأحد العلماء المتقدمين جمع رسالة بعنوان " من أردفهم النبي صلى الله عليه وسلم "، فذكر عددا حصل لهم أن أردفهم النبي صلوات الله وسلامه عليه.. من هؤلاء معاذ، وحديث إرداف النبي صلى الله عليه وسلم له على الحمار في الصحيحين يرويه معاذ رضي الله عنه يقول : (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال :" يا معاذ أتدري ماحق الله على العباد، وما حق العباد على الله قلت : الله ورسوله أعلم قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا "، قلت : ألا أبشر الناس قال : لا تبشرهم فيتكلوا)، فكان يردفه صلوات الله وسلامه عليه وراءه ، هذه الثانية . ثالثا: من وجوه بيان مكانته ومنزلته العلية، قال: وروي فيه أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام ، "وهذا جاء في حديث يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم"، قال: معاذ ابن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه، قال: وروي فيه أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام، هذا الأمر الثالث. الأمر الرابع: قال : وأنه يحشر أمام العلماء برتوة ،" رتوة: فسرها شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: أي بخطوة" ، وهذا يدل على تقدمه وإمامته

في العلم ومكانته في العلم.. ،والرتوة لها معاني: منها المعنى الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ومن معانيها . من معاني رتوة ." رمية حجر"، ورتوة على وزن رمية، وجاء في بعض روايات هذا الحديث أنه قال: يحشر أمام العلماء برتوة بحجرأي:" برمية بحجر". سواء قيل هذا أو ذاك الحديث يفيد تقدم معاذ يوم الحشر على أهل العلم، وأنه يحشر أمامهم متقدما عليهم، سواء قيل بخطوة أو رميه حجر أو غير ذلك من المعاني التي قيلت في هذه اللفظة. الأمر الخامس: من فضائل معاذ مما أورده شيخ الإسلام قال : ومن فضله أنه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عنه: داعيا.. ومفقها.. ومفتيا.. وحاكما.. إلى أهل اليمن، هذا أيضا مما يدل على فضل معاذ ومنزلته العلية. وبعث النبي صلى الله عليه وسلم له إلى اليمن ثبت به الحديث في الصحيحين وغيرهما. الأمر السادس: وكان يشبّهه بإبراهيم . هكذا في النسخ المطبوعة للكتاب .، وجاء في نسخة: وكانوا يشبهونه بإبراهيم الخليل عليه السلام، ولم أقف على حديث مرفوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام فيه تشبيهه صلى الله عليه وسلم لمعاذ بإبراهي، وقوله:" وكان يشبهه" الضمير حسب السياق يعود إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، وجاء في نسخة خطية لهذا الكتاب:" وكانوا يشبهونه"، وهذا المعنى مروي في بعض المصادر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نشبه معاذ ابن جبل بإبراهيم، فيحتمل أن العبارة: وكان يشبه . بحذف إحدى الهاءين . أو وكانوا يشبهونه ،كما هو مثبت في إحدى النسخ الخطية لهذا الكتاب. "بإبراهيم الخليل عليه السلام"، وإبراهيم إمام الناس ، قال: وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "إن معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين" . تشبيها له بإبراهيم .، إذاً كان معروفا رضي الله عنه وأرضاه عند الصحابة بإمامته.. وعلمه.. وفقهه.. ومكانته.. وعبادته.. حتى قال فيه ابن مسعود هذا الذي سمعتم، قال: إن معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين، أمّة أي: إماما في الخير.. وقدوة في الخير..، وهذه الكلمة تطلق على من اجتمعت فيه صفات الخير، فأصبح إماما للناس في الخير لاجتماع صفات الخير فيه." قانتا لله": والمراد بالقنوت المداومة على طاعة الله تعالى ، و"حنيفا" أي: مائلا،" الحنف": الميل عن الباطل إلى الحق، وعكسه :وهو الميل من الحق إلى الباطل يسمى: "جنف" . غير متجانف لإثم .،" فالجنف": هو الميل عن الحق إلى الباطل، و"الحنف": هو الميل عن الباطل إلى الحق"، فكان حنيفا ولم يك من المشركين.

فهذه الآن ستة أمور أوردها شيخ الإسلام أراد بها أن يبين مكانة هذا الصحابي.. وعلو منزلته.. ومع ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن أول ما أوصاه به تقوى الله، قال:" اتق الله حيثماكنت "،والحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم يقول كلاما . معناه . يقول : وقد انتفع معاذ بهذه الوصية . وصية النبي صلى الله عليه وسلم له بتقوى الله . انتفاعا عظيما ، وذكر قصة في هذا الباب وهي: أن عمر ابن الخطاب أرسله في أمر فمضى فيه ورجع فقالت له زوجته: لم تأت بشيء . يعني ما جاء لأهله ولبيته بشيء لما

رجع . فقال: كان معي ضابط ففهمت أن عمر قد أرسل معه شخصا يتابعه، قال: كان معي ضابط، أي: يضبطني ويمنعني، وهو يقصد تقوى الله سبحانه وتعالى و مراقبة الله سبحانه وتعالى. وأما ثبوت هذه القصة فليس عندي فيها شيء، لكن نقلها الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى شاهدا على هذا المعنى. لما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله هذه الأمور لبيان مكانة معاذ قال: ثم إنه وصاه هذه الوصية ، أي: مع هذه المكانة العالية الرفيعة لهذا الصحابي الجليل وصاه بهذه الوصية، إذاً الوصية بالتقوى يحتاج إليها كل أحد، وفي كل وقت.. وفي كل حين.. وحيثما كان.." اتّق الله حيثما كنت"، هذه الوصية يحتاج إليها كل أحد في كل وقت. ثم إنه صلى الله عليه وسلم وصاه هذه الوصية فعُلم أنها جامعة، أي: أنها وصية جمعت الخير كله. ثم يعلق شيخ الإسلام على ذلك فيقول: وهي كذلك لمن عقلها . يؤكد على عقل المعنى، وأيضا يؤكد كما مرّ وكما سيأتي على العمل بهذه الوصية . ،قال: مع أنها تفسير الوصية القرآنية، ثم أخذ يفصل وجه أنها جامعة، ثم أيضا وجه أنها تفسير الوصية القرآنية، ويأتي هذا في لاحق كلامه رحمه الله تعالى .

هذا ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا جميعا من عباده المتقين .

انتهى الشريط الأول

الشريط الثاني

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على عبده و رسوله نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين أمّا بعد : فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

" أما بيان جمعها فإن العبد عليه حقان:" حق الله عز وجل و حق لعباده، ثم الحق الذي عليه لابد أن يخل به أحيانا إما بترك مأمور به أو فعل منهي عنه، فقال النبي صلى الله عليه و سلم:" اتق الله حيثما كنت"، و هذه

كلمة جامعة، و في قوله" حيثما كنت تحقيق لحاجته إلى التقوى في السر و العلانية، ثم قال:" و أتبع السيئة الحسنة تمحها"، فإن الطبيب متى تناول المريضُ شيئاً مضراً أمره بما يصلحه، و الذنب للعبد كأنه أمر حَتَِم، فالكيس هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات، و إنما قدم في لفظ الحديث السيئة و إن كانت مفعولة لأن المقصود هنا محوها لا فعل الحسنة، فصار كقوله في بول الأعرابي: صُبُّوا عليه ذنوبا من ماء.

الحمد لله رب العالمين، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه و على آله و صحبه أجمعين، أمّا بعد :

فإن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لما طلب منه أبو القاسم السبتي المغربي رحمهما الله أن يوصيه بوصية جامعة، أوصاه بتقوى الله عز و جل التي هي وصية الله تبارك و تعالى للأولين و الآخرين من خلقه، و أورد رحمه الله تعالى في ذلكم قول الله عز و جل: « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و إياكم أن اتقوا الله »

ومن السنة أورد حديث معاذ ابن جبل رضي الله عنه عندما بعثه النبي صلى الله عليه و سلم إلى اليمن و أوصاه بقوله: "اتق الله حيث ما كنت، و أتبع السيئة الحسنة تمحها، و خالق الناس بخلق حسن" ، و نبه شيخ الإسلام إلى أن هذه الوصية لمعاذ رضي الله عنه مع إمامته و فضله و ساق وجوها من الدلائل و الشواهد على فضله رضي الله عنه و علو منزلته، منبها بذلك إلى أن الشخص مهما علت مكانته و ارتفعت درجته لا يزال محتاجا إلى هذه الوصية، ثم نبه رحمه الله تعالى إلى أن هذه الوصية التي أوصى بها النبي صلى الله عليه و سلم معاذا رضي الله عنه نبه رحمه الله إلى أنها وصية جامعة، هذا من جهة، و من جهة أخرى نبه إلى أنها تفسير الوصية القرآنية، فهاذان تنبيهان متعلقان بوصية النبي عليه الصلاة والسلام، الأول: أنها جامعة، و الثاني: أنها تفسير الوصية القرآنية التي مرت معنا" أن اتقوا الله"، فشرع رحمه الله في بيان هذين الأمرين، بيان أولا: أنها جامعة، ثم سيأتي بعد صفحات بيان أنها، أو وجه كونها تفسيرا للوصية القرآنية، فبدأ أولا ببيان كونها وصية جامعة، قال: أما بيان جمعها، أي بيان كونها جامعة، بيان كونها وصية جامعة، فلأن العبد عليه حقان :"حق لله عز و جل، و حق لعباده". فالعبد عليه حقان: حق لله: و هو العبودية.. و إخلاص الدين.. و إفراده تبارك و تعالى بالعبادة..، و قد مر معنا حديث معاذ رضي الله عنه عندما كان رديف عليه الصلاة والسلام على حمار فقال: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وحق العباد على الله، قلت:" الله و رسوله أعلم "، حقان: حق الله على العباد أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا: و حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيء. فإذا لله سبحانه و تعالى حق على عباده، و للعباد بينهم حقوق متفاوتة بحسب الصلة و العلاقة، فهناك مثلا حق للأبوين ..و هناك حق لذوي الرحم.. و هناك حق للجيران.. و هكذا..، حقوق جاءت بها الشريعة للناس بعضهم مع بعض، فالعبد عليه حقان: حق لله جل شأنه و حق للعباد،

قال: ثم الحق الذي عليه ـ أي سواء كان لله أو للعباد ـ لابد أن يخل ببعضه أحيانا.. ،لأن الإنسان لا يسلم من النقص والخلل والتقصير، فقد صح في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)، وفي الحديث القدسي قال الله سبحانه وتعالى: (يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم)، وأيضا جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)، فلإنسان لابد من الخطإ والتقصير ـ ولهذا سيأتي معنا قوله رحمه الله والذنب للعبد كأنه أمر حتم ـ ،لأن الخطأ من طبيعة الإنسان، ولابد أن يقع في الخطأ ، قال:" والحق الذي عليه لابد أن يخل ببعضه أحيانا" ما نوع هذا الإخلال، قال: إما بترك مأمور به أو فعل منهي عنه، الإخلال لا يخلو من حالتين: إما ترك مأمور به: أمره الله سبحانه وتعالى بواجب فتركه لم يفعله.. قصر فيه.. فرط في فعله..، أو يكون فعل منهيا عنه: نهاه الله سبحانه وتعالى عن أمر، حرم عليه أمرا ففعله، فإذاً الخطأ الذي يقع فيه ابن آدم يكون من هاتين الجهتين: إما ترك مأمور به أو فعل منهي عنه ، فقال: "اتق الله حيثما كنت"، وهذه الكلمة جامعة: "اتق الله حيثما كنت" ،وهذه كلمة جامعة: أي تجمع فعل المأمور وترك المحظور، لأن التقوى عند الإطلاق وفي الآي والأحاديث الآمرة بها تجمع فعل الأمر وترك النهي، بينما إذا ضم إليها غيرها، كأن يضم مثلا إلى التقوى البر.. أو إيمان.. أو نحو ذلك..، تكون التقوى في ترك المنهي وما ضم إليها في فعل المأمور، لكنها عند الإطلاق، عند الوصية بها على الإطلاق تتناول الأمرين معا: فعل المأمور وترك المنهي، لأن التقوى من الوقاية ،"المراد بالتقوى: أن تجعل بينك وبين ما تخشاه من سخط الله وعقابه وقاية تقيك، ما هي هذه الوقاية؟ فعل المأمور وترك المنهي ، الوقاية هي: فعل المأمور وترك المنهي، ولهذا فإن أحسن ما عرفت به التقوى من عبارات السلف وألفاظهم في تعريفها، تعريف طلق ابن حبيب ـ من علماء التابعين ـ، وتعريفه أثنى عليه جمع من الأئمة منهم: شيخ الإسلام والحافظ الذهبي والإمام ابن القيم وابن رجب رحمه الله وجمع من أهل العلم ..، أثنوا على تعريف التقوى، وأنه تعريف جامع. قال: رحمه الله في تعريفها:" تقوى الله" : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله خيفة عذاب الله ، فجمع رحمه الله في تعريفه للتقوى بين فعل الأمر وترك النهي، واشترط في كل منهما العلم، قال:" على نور"، والنور العلم، أي: أن تكون على علم بالمأمور به وعلى علم بالمنهي عنه، تتعلم المأمور لتفعله وتتعلم المنهي لتتركه، ولهذا ألف العلماء رحمهم الله كتبا في الكبائر لا يذكرون فيها إلا الكبائر، الأولى.. الثانية.. الثالثة.. الرابعة.. الخامسة.. إلى آخره..، يذكرون كل كبيرة مع أدلة تحريمها وبيان خطرها وعقوبتها لماذا؟، لأن العبد المؤمن كما أنه مطلوب منه أن يعلم المأمور به ليفعله، فإنه كذلك مطلوب منه أن يعلم المنهي عنه ليتركه، إذ كيف يتقي من لا يدري ما يتقي، من لا يعرف المحرمات كيف يتقيها..؟ من لا يعلم ما نهاه الله عنه كيف يتقي..؟، ولهذا لما عظم جهل الكثير من الناس بالكبائر وأضرارها وعقوباتها: فعلوها ولم يبالوا، ووقعوا فيها ولم يبالوا، وبعضهم لما نبه مثلا على كبيرة ما وعقوبتها.. وما يترتب عليها من أثر..، أسف على

الوقت الذي مضى من حياته و لم يعلم بذلك، أي أنه يقصد أنه لو جاءه هذا العلم المبكر ربما كان الأمر على خلاف هذه الحال، فإذاً العبد يحتاج فعلا إلى العلم بالمأمور ليفعله ويحتاج أيضا في الوقت نفسه إلى العلم بالمنهي ليجتنبه، ويحتاج فيهما إلى الرجاء والخوف، رجاء رحمة الله سبحانه وتعالى وخوف عقابه جل شأنه، فهذا التعريف: تعريف جامع وعظيم لبيان حقيقة التقوى، وأن التقوى عند الوصية بها على الإطلاق تجمع فعل الأوامر وترك النواهي، لم يكتفي عليه الصلاة و السلام في وصيته لمعاذ بقوله:" اتق الله"، بل ضم إلى ذلك قوله:" حيثما كنت" ، أي أن التقوى يحتاج أن يلازمها العبد في كل أوقاته.. وفي جميع أحواله.. في الحظر و السفر.. في الليل وفي النهار.. في العلانية وفي السر..، في أي مكان.. في أي مجال.. في أي وقت..، في بيتك مع أولادك تحتاج أن تستصحب التقوى..، في عملك.. في وظيفتك.. في تجارتك.. في صلاتك.. إذا دخلت المسجد.. في جميع أمورك تحتاج أن تكون مستصحبا للتقوى.. في كل أحوالك..، قال:" اتق الله حيثما كنت"، أي لازم تقوى الله سبحانه وتعالى في الحظر والسفر، في السر والعلانية، في الغيب والشهادة، في كل أحوالك، في جميع شؤونك، لازم تقوى الله سبحانه وتعالى حيثما كنت، لأنك أينما تكون رب العامين يراك، لأنك أينما تكون رب العالمين سبحانه وتعالى يراك.. يطلع عليك لا تخفى عليه منك خافية سبحانه وتعالى ، إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل. خلوت ولكن قل علي رقيب ، فيجب على العبد أن يلازم تقوى الله سبحانه وتعالى حيثما كان، في أي مكان يكون فيه: يراه الناس لا يرونه، يعلمون به أو لا يعلمون، إلى غير ذلكم.. يجب عليه أن يلزم تقوى الله سبحانه وتعالى. قال:" اتق الله حيثما كنت"، وهذه كلمة جامعة جمعت الخير كله وأتت عليه أجمعه، ولهذا كانت وصية للأولين و الآخرين، وكانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم دوما لأمته أفرادا وجماعات، قالوا في قوله:" حيثما كنت" تحقيق لحاجته إلى التقوى في السر والعلانية ،أي أن العبد محتاج إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، في كل لحظة.. في كل نفس.. في كل حركة.. في كل شأن من شؤونه.. في كل وقت من أوقاته..، يجب أن تكون في كل خطوة يتحركها العبد بتقوى الله..، يقوم.. يقعد.. يأخذ.. يعطي.. يتكلم.. يعمل.. إلى آخره.. في كل ذلكم يستصحب فيه تقوى الله ..،"اتق الله حيثما كنت ". قال: تحقيق لحاجته إلى التقوى في السر والعلانية. في السر: أي حال خلوة الإنسان بحيث لا يراه أحد من الناس، والعلانية: عندما يكون مختلطا بهم، والإنسان حال اختلاطه بالناس تجده يصانع.. ويساير.. ويعمل على ما عليه من هم مختلط بهم، لكن في سره.. في خلوته.. تنكشف له هو حقيقة نفسه، ورب العالمين سبحانه وتعالى مطلع عليه في سره وعلانيته، وفي غيبه وشهادته، ولهذا ينبغي على العبد أن يعمل على إصلاح نفسه وتحقيقه لتقوى ربه سبحانه وتعالى في كل أوقاته: في الغيب والشهادة، وفي السر والعلانية. والسر والعلانية والغيب والشهادة هذا بالنسبة لنا نحن، أما الله سبحانه وتعالى فالسر عنده علانية، و الغيب عنده شهادة، لكن هي بالنسبة لنا سر، لما يختفي الإنسان عن أعين الناس أصبح في سر.. أصبح في غيب.. لا أحد يطلع عليه..، هذا بالنسبة لنا، أما بالنسبة لرب العالمين السر عنده علانية والغيب عنده شهادة، لا تخفى عليه خافية:

«سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار»، كلهم سواء عند رب العالمين جل شأنه، (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل)، والاستخفاء بالليل أشد ما يكون خفاءا عن الناس وعن أعينهم ، (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) ، الكل عند الله سواء ، فإذاً العبد يجب عليه أن يتقي الله سبحانه وتعالى ربه في سره وعلانيته.. في غيبه وشهادته.. في كل أحواله وجميع شؤونه..،وهذا ما يبين لنا أن هذه الوصية العظيمة المباركة.. وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه وصيه جامعة.. جمعت الخير كله. ثم قال:" وأتبع السيئة الحسنة تمحها". أتبع.. إتباع السيئة بالحسنة أي: الإتيان بها مباشرة لا تؤخر، كأنه ينبه في هذا إلى أن العبد مهما جاهد نفسه على ملازمة التقوى لابد من قصور.. لابد من خطأ.. لابد من زلة.. كل بني آدم خطاء، فإذا بدر منك خطأ، بدر منك تقصير، بدى منك تفريط، بدى منك فعل منهي، "أتبع السيئة الحسنة" ،يعني بادر.. سارع إلى الحسنة..،(إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) "فأتبع السيئة الحسنة".. بادر.. لا تؤخر.. لا تؤجل.. لا تسوف.. وإنما سارع وبادر..، وهذه وصية عظيمة جدا وثمينة للغاية أن العبد ينبغي عليه . ولاسيما في وقت الزلة والخطأ والذنب . أن يبادر إلى الحسنات.. وأن يسارع إليها..، قال:" وأتبع السيئة" أتبعها أي: ألحقها بها مباشرة.. سارع إليها.. بادر إليها..، ولا يحول بينك وبينها نفس أمارة، أو شيطان رجيم، وقرناء السوء، أو غير ذلك، سارع مسارعة إلى الحسنات..،" أتبع السيئة الحسنة تمحوها"، ومعنى تمحوها أي: تزيلها، تذهب آثارها، وفي القرآن قال: « إن الحسنات يذهبن السيئات »،يذهبن: هذا معنى تمحها، يذهبن السيئات: تمحها أي تذهب أثرها، وهذه الوصفة:"وأتبع السيئة الحسنة تمحها"، هذه وصفة أطباء القلوب، لأن القلوب تمرض مثل الأبدان،والقلب إذا أصيب بشيء من المرض، الجوارح تتبعه في: إما ترك المأمور أو فعل المحظور، ولهذا قال رحمه الله: فإن الطبيب متى تناول المريض شيئا مضرا أمره بما يصلحه، يصف له شيئا يناسب هذا المضر الذي تناوله المريض من أجل أن يصلح، وربما أيضا قال له الطبيب: أكثر منه . يعني مرة في الصباح ومرة في المساء . أحيانا يقول له عشر مرات تشرب هذا حتى يصلح لك الضرر الذي حصل بهذا الذي أدخلته إلى جوفك من الأمور المضرة للبدن، وكلما بادر إلى هذه الأمور المصلحة وسارع إليها كان أنفع لبدنه. قال: فإن الطبيب متى تناول المريض شيئا مضرا أمره بما يصلحه، والذنب للعبد كأنه أمر حتم، . مرّ معنا بعض الأحاديث في هذا المعنى ،. وأيضا الأحاديث في هذا الباب كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام :«كتب على ابن آدم حظه من الزنى لا محالة»، وذكر زنى العين وزنى السمع وزنى البصر وزنى اليد فقال :كأنه أمر حتم، حتم أي لا محالة لابد أن يكون ، حتم أي لا محالة لابد أن يقع، إذاً والحالة هذه الذنب في حق الإنسان أمر حتم لابد أن يخطأ، كل بني آدم خطاء ..فما المطلوب؟ قال: فالكيس . يعني الحاذق.. الفطن.. العاقل.. النبيه.. هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات" هذا هو الفطن " لا يزال يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات، يأتي من الحسنات أي يستكثر منها ، يجاهد نفسه على الإكثار من الحسنات، وينوع مجالات من صلاة.. من صيام.. من صدقات..

من برٍّ وصلات.. إلى غير ذلكم من أنواع وأبواب الإحسان..، يستكثر منها ، فهذا من الفطنة والنباهة وحسن التصرف، فالكيس هو الذي لا يزال مستمرا مداوما يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات : أي بما يزيل أثرها ،قال: وإنما قُدم في لفظ الحديث السيئة وإن كانت مفعولة، لأنه قال في الحديث" أتبع السيئة الحسنة تمحها"، يقول" وإنما قدمت في لفظ الحديث السيئة و إن كانت مفعولة ،قوله: أتبع السيئة الحسنة كل منهما مفعول، السيئة مفعول أول ، والحسنة مفعول ثان ،لكنها من حيث المعنى مفعولة، السيئة من حيث المعنى مفعول به، لأنه قال بعدها: تمحها أي: تمحو الحسنةُ السيئةَ، يقول: وإنما قدم في لفظ الحديث السيئة وإن كانت مفعولة لماذا، قال: لأن المقصود هنا محوها ، المقصود بالذكر هنا في الحديث محوها ، ولهذا قدمت ، تنبّه لقوله رحمه الله : "لأن المقصود هنا محوها " لا فعل الحسنة، فصار كقوله في بول الأعرابي:" صبُّوا عليه ذنوبا من ماء"، لاحظ: قدّم (عليه)، أي: (البول)، لم يقل صبُّوا ذنوبا من ماء عليه، لماذا؟ قدم الجار والمجرور(الذي هو عليه) ،(الذي هو البول)، قدم بالذكر لأنه هو المقصود إزالة ماذا؟ إزالة الأثر، هذا هو المقصود، ليس المقصود صب الماء أصالة ، وإنما المقصود إزالة الأثر ، فقدم لأنه هو المقصود، أيضا لما كان المقصود إزالة أثر السيئة و محوها أثرها قدمت، وهنا وجه الشبه ظاهر لأن كل منهما تطهير، هذا تطهير حسي وهذا تطهير معنوي، كل منهما تطهير، كل منهما إزالة أثر، هذا إزالة أثر ذنوب، و هذا إزالة أثر نجاسة (نجاسة البول)، وهذا حقيقة من جمال البيان عند شيخ الإسلام رحمه الله وحسن الربط أيضا بالمعاني والأشباه للتوضيح ، ولما كان المقصود في كلٍّ إزالة الأثر قدم هذا المقصود في الحديثين ،نعم .

قال رحمه الله تعالى:

وينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات فإنه أبلغ في المحو، والذنوب يزول موجبها بأشياء أحدها: التوبة، الثاني: الاستغفار من غير توبة، فإن الله تعالى قد يغفر له إجابة لدعائه وإن لم يتب، فإذا اجتمعت التوبة و الاستغفار فهو الكمال. الثالث: الأعمال الصالحة المكفرة، إما كفارات مقدرة كما يكفر المجامع في رمضان والمظاهر والمرتكب لبعض المحظورات في الحج أو تارك بعض الواجبات أو قاتل الصيد، بالكفارات المقدرة، وهي أربعة أجناس: هدي وعتق وصدقة وصيام. وإما الكفارات المطلقة كما قال حذيفة لعمر: فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد دل على ذلك القرآن والأحاديث الصحاح في التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام والحج وسائر الأعمال التي يقال فيها: من قال كذا وعمل كذا غفر له أو غفر له ما تقدم من ذنبه وهي كثيرة لمن تلقاها من السنن خصوصا ما صنف في فضائل الأعمال .

الشارح :

يقول ابن تيمية رحمه الله : . اللهم اجزي ابن تيمية خيرا وأحسن إليه . ،يقول رحمه الله تعالى: وينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات، ليس هذا بلازم، يعني ليس ما يكفر السيئة لابد أن يكون من جنسها، لكن تكفير السيئة بما هو من جنسها من الحسنات أولى وأحرى وأجدر، والعبد يستكثر من هذا وذاك، يجاهد نفسه على حسنات من جنس الخطأ، مثلا إن كان خطأه عقوقا يعمل ببر والديه ويستكثر منه، حتى مثلا بعض الناس يستمر بالعقوق إلى أن يموت أحد أبويه، فيبقى مجال البر حتى بعد الوفاة فيحاول أن يستكثر من أبواب البر لوالديه ومجالات الإحسان حتى ولو كان بعد الوفاة، إذا كان مثلا الخطأ عقوقا، خطيئة، إذا كان مثلا الخطأ غيبة لإنسان أو نميمة أفسد بين شخصين، لابد أن يأتي بحسنات مثلها حتى تكفر ذلك، مثل أن يصلح ما أفسد من قطيعة، ما تسبب فيه من قطيعة، هذه حسنة تمحو تلك السيئة ،إذا اغتاب شخصا فعمل على الثناء عليه وذكره وطلب مثلا المسامحة منه حتى ولو لم يكن مباشرة، حتى إذا كان يترتب على قولك له إنني اغتبتك وقلت فيك كذا وكذا فسامحني فيترتب عليه مفسدة لا يلزم أن تقول له، لكن عموما قل له قصرت في حقك، لابد من خطأ، أنت رجل كريم، أرجو أن تسامحني، ونحو ذلكم من العبارات، ثم تثني عليه، تذكره بالخير، أنت بحاجة إلى هذه الحسنات وإلا يأتي العبد يوم القامة يحملها ذنوبا تؤخذ من صحيفة حسناته كما في حديث المفلس:(أتدرون من المفلس قالوا: من لا درهم له و لا دينار قال: المفلس الذي يأتي بصلاة وصيام وصدقة ويأتي وقد شتم هذا قذف هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيؤخذ من حسناته فيعطون . إذا العبد يحرص على هذا الذي نبه عليه شيخ الإسلام وهو أن تكون الحسنات من جنس السيئات، يعني مثلا إذا كانت تفريطا مثل ما مثلنا قبل قليل فيحرص أن تكون الحسنة من جنسها، وكما أسلفت ليس ذلكم بلازم لكنه أجدر وأحرى وأولى، قال:" فإنه أبلغ في المحو"، فإنه أبلغ في المحو هذا تعليل لما سبق، والتعليل يدل على أنه ليس شرطا أو لازما لكنه أبلغ في المحو، قال: والذنوب يزول موجبها بأشياء، (موجبها) بفتح الجيم لأنه يقال: موجب بكسرها يراد به السبب، ويقال: موجب بفتحها ويراد به المسبب، فإذاً يزول موجبها أي ما توجبه الذنوب من عقوبات وما يترتب عليها من عقوبات، هذه العقوبات التي ترتبت وانبنت على تلك الذنوب تزول هذه بأشياء، ومهما كان الذنب هناك أشياء تزيل موجبات الذنوب، أي ما توجبه الذنوب من عقوبات مهما كان الذنب . الله جل شأنه يقول:«قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم»، فإذاً العبد يحتاج فعلا وهذا سينبه عليه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، يحتاج حاجة شديدة جدا إلى معرفة هذه الأمور التي هي موجبات محو الذنوب. قال: والذنوب يزول موجبها بأشياء،(هذه الأشياء تسمى موانع لحوق الوعيد) ،إذا أذنب العبد ذنبا ترتب على الذنب وعيد، ترتب عليه عقوبة، وللحوق هذه العقوبة به موانع فتسمى موانع لحوق الوعيد، وتسمى أيضا: الممحصات(تمحص العبد من تلك الذنوب تطهره منها) ،فالعبد فعلا بحاجة

إلى أن يعرف هذه الأشياء. وذكر رحمه الله تعالى أربعة أشياء وجميعها في الدار الدنيا ، لأن الممحصات منها في الدنيا وهي هذه الأربعة، ومنها في البرزخ (القبر)، ومنها يوم القيامة، الممحصات منها ماهو في الدنيا ومنها ماهو في البرزخ ومنها ماهو في يوم القيامة ،فذكر رحمه الله تعالى في هذه الوصية الممحصات الأربع التي في الدنيا، يحرص عليها العبد في حياته الدنيا ، قال أحدها التوبة: والتوبة كما ثبت في الحديث تهدم ما كان قبلها، من تاب من الذنب تاب الله عليه مهما كان الذنب ، إذا كانت التوبة نصوحا ندم وأقلع وعزم ألا يعود، فإذا كانت التوبة نصوحا فإن ذنبه يغفر مهما كان ذنبه، ولا ينبغي على الإنسان أن يقنط أو ييأس أو يأتيه الشيطان ويقول له: ذنبك ليس كالذنوب أنت فعلت.. وأنت فعلت.. وأنت فعلت.. والآن جاي تتوب، مثلك يقول له: ماله توبة ،وإذا ابتلي أيضا بإنسان لا بصيرة له في دين الله ربما أيضا قال له بمثل هذا العدد من الذنوب ما أظن لك توبة، مثل قصة الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ثم طمعت نفسه بالتوبة فوجد عابدا لا فقه له في دين الله، عابد من العباد مشتغل بالصلاة والعبادة والذكر إلى آخره.. وقال له: هل لي من توبة أنا قتلت تسعة وتسعين نفسا، قال: تسعة وتسعين نفسا.. ليس لك من توبة فقتله، كمَّل به المائة ، ثم لم يزل حريصا على التوبة فلقي عالما قال: ما الّذي يحول بينك وبينها، اذهب إلى بلد كذا وكذا فإن فيها قوم يعبدون الله فاعبد الله معهم إلى آخر القصة وهي معروفة... أعجبني أحد طلاب العلم في قصة حديثة العهد ،كان يذكر لي أنه يعمل في الدعوة بلغة بلده عن طريق الإنترنيت، وأسلم على يديه ما يزيد على الثلاث مائة دخلوا في الإسلام ، يقول: تراسلت عن طريق الإنترنيت مع امرأة فقالت لي أنا مقتنعة تماما أن الإسلام هو الدين الحق، يقول: فأرسلت لها قلت :ومن الذي يمنعك وقد اقتنعت أنه الدين الحق أن تدخلي في هذا الدين ، قالت: هذا الدين العظيم الذي رأيت وعرفت أنه الحق وعرفت عظمة الدين، قالت: أظن أنه يقبل مثلي، انظر كيف دخل عليها الآن، اقتنعت الآن أن الدين الإسلامي هو الدين الحق، قالت: ما أظن أن الإسلام يقبل مثلي، أنا امرأة راقصة دائما في الرقص والعهر والكذا والخمور.. فمثلي ما يقبله هذا الدين ما أظن أنه يقبله، يقول: مباشرة أرسلت لها قلت لها: أريد أن أسألك سؤالا لكن أجيبيني بصراحة (كم في حياتك قتلت من شخص؟ هل قتلت خمسين شخصا ؟ تعجبت قالت: لا ما قتلت.. قال: ولا ثلاثين ولا أربعين.. قالت: والله ما قتلت ولا واحدا، يقول: فأوردت لها الحديث فأسلمت مباشرة، أوردت لها حديث الذي قتل تسع وتسعين نفسا أسلمت ... الإسلام..، إذا كان الإنسان تاب توبة نصوح توبة صادقة يمحو الله سبحانه وتعالى بتوبته أي ذنب ،فالشيطان أحيانا إذا وجد الإنسان يقتنع يأتيه من هذا المدخل ويقول: ذنبك ليس كالذنوب الأخرى فذنبك لا يغفر، لا مجال إلى أن تتوب، فالشاهد التوبة تجب ما قبلها، تهدم ما كان قبلها مهما كان الذنب، مهما كان الأمر، الله جل شأنه يقول: وانظر الذنوب الكبار التي ذكرها «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون» أمهات الذنوب.. كبار

الذنوب.. أكبر الكبائر.. وإذا كان الحكم فيها ما سيأتي فكيف بما هو دونها، «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب»، من تاب تاب الله عليه، شرك، قتل، زنى، أيا كان ، من تاب وصدق مع الله سبحانه وتعالى في توبته تاب الله عليه «إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا»، اللهم اجعلنا ممن يتوب إليك متابا يا رب العامين .

قال: والثاني الاستغفار من غير توبة، الاستغفار كم نفرط فيه مع أن أمر الاستغفار عجب.. ومن يقرأ أحاديث في فضله ومكانته..، أمر الاستغفار عجب، يكفي قول النبي عليه الصلاة والسلام طوبى لمن وجد في صحيفته يوم القيامة استغفارا كثيرا..، نستغفر الله العظيم ونتوب إليه.. كان نبينا عليه الصلاة والسلام مع أن رب العالمين جل شأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان كثير الاستغفار، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أستغفر الله وأتوب إليه . فقال الاستغفار من غير توبة، ولهذا ينبغي على الإنسان أن يجعل دائما على لسانه الاستغفار، أستغفر الله وأتوب إليه.. أستغفر الله وأتوب إليه.. أستغفر الله وأتوب إليه.. يكثر من ذلك، وجاء في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصبح غداة يوم إلا استغفر الله مائة مرة، ناهيك عن استغفاراته عليه الصلاة والسلام، استغفاره في المجالس.. استغفاره في ختم المجلس.. استغفاره عقب الصلوات.. استغفاره عقب الحج.. ختم حياته كلها عليه الصلاة والسلام بقوله: اللهم اغفر لي وألحقني بالرفيق الأعلى ، حياته كلها استغفار وختمها أيضا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع أنه صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال: والثاني الاستغفار من غير توبة، فإن الله تعالى قد يغفر له إجابة لدعائه وإن لم يتب ، وفي الحديث القدسي يقول الله سبحانه وتعالى:«يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك»، الله جل شأنه من أسمائه الغفور ويحب الغفران ويغفر الذنوب سبحانه وتعالى ويجيب الدعاء، وقولك أستغفر الله هذا سؤال، السين في أستغفر الله للطلب، أي: أطلب منك يا ألله أن تغفر لي، والله سبحانه وتعالى لا يرد من دعاه ولا يخيب من ناجاه.

قال: فإن الله تعالى قد يغفر له إجابة لدعائه وإن لم يتب، فإذا اجتمعت التوبة والاستغفار فهو الكمال، إذا اجتمعت التوبة والاستغفار يعني قال مكررا مستغفرا وهو أيضا تائبا من الذنب مقلعا عنه ونادما على فعله، قال: فهو الكمال. الثالث قال: الأعمال الصالحة المكفرة إما الكفارات المقدرة، إما كما يكفر المجامع في رمضان والمظاهر والمرتكب لبعض محظورات الحج أو تارك بعض الواجبات أو قاتل الصيد بالكفارات المقدرة وهي أربعة أجناس: هدي وعتق وصدقة وصيام، هذه كلها تسمى الكفارات ، ومعنى كفارات أي: تكفر

الخطأ..تكفر الذنب.. تكفر التقصير..تكفر الخلل الذي وقع فيه العبد.. وهذه الكفارات حسنات، والله عز وجل جعل هذه الأبواب(أبواب البر) تكفر للعبد ما وقع فيه من تقصير ، يخطيء ثم يتصدق مثلا أو يخطيء ويعتق رقبة ،فهي أبواب إحسان.. هذه الأنواع الهدي والعتق والصدقة هذه كلها أبواب إحسان تصل إلى الآخرين. أروي لكم طريفة ذكرها لي أحد الأفاضل، يقول: اتصل بي رجل وقال: والله ما عندي شيء أعطه أولادي، قال والله ما عندي شيء أأكل أولادي ،طعام أأكل أولادي يقول: ما عندي، يقول: أنهيت المكالمة أخذت دقائقا اتصل بي واحد قال:حلفت يمين وأبغي كفارة وما أدري وين أعطها، قلت: هات موجود، فهذا يحلف و يخطيء ويكفر.. فإذاً هي مجالات..مثل هذه الأخطاء التي تقع جعلها الله سبحانه وتعالى أبواب تسد ماذا؟ حاجات.. هذا أيضا من رحمة الله سبحانه وتعالى، من رحمة الله سبحانه وتعالى أن الإنسان عندما يخطيء وجعلت هذه الكفارة تسد حاجات الفقراء والمساكين والمحتاجين والمعاويز تصل إليهم، يقول: في لحظة واحدة، ما أخذت لحظات، هذا يتصل يقول: ما عندي شيء.. وهذا يتصل يريد أن يكفر يمينه بإطعام عشرة مساكين، فأخذت منه وأوصلت لهذا المحتاج. إذا هذه أبواب جعلها الله سبحانه وتعالى كفارات لما يقع فيه العبد من خطأ، وهي كما وصفها شيخ الإسلام كفارات مقدرة . يعني كل خطأ من هذه الأخطاء له كفارة مقدرة جاء تقديرها في الشرع . عتق رقبة، إطعام ستين مسكين، إطعام عشرة مساكين، إطعام ستة مساكين، ذبح شاة إلى غير ذلك.. كفارات مقدرة ومحددة، محددة النوع ومحددة أيضا العدد(الذي يعطون من هذه الكفارات) قال: وإما الكفارات المطلقة كما قال حذيفة لعمر فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحديث في الصحيحين ،إذا هذه الحسنات التي يقوم بها العبد صلاة وصيام وصدقة وأمر بالمعروف ونهي عن منكر وأنواع البر الأخرى هذه كلها كفارات تمحو السيئات، مثل ما مر معنا قريبا "إن الحسنات يذهبن السيئات " "أتبع السيئة الحسنة تمحها"، إذا العبد يحتاج إلى الصلاة إلى الصيام إلى الصدقة إلى الأمر بالمعروف إلى النهي عن المنكر إلى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، أنواع البر.. ولايغفل في هذا الجانب الدعوة وتعليم ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «الدال على الخير كفاعله» الآن أضرب لكم مثالا: شيخ الإسلام ابن تيمية بهذا الكتاب بهذا الكتاب ناهيك عن كتبه الأخرى يصله من أجره كل ما تعلم متعلم واستفاد مستفيد" من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا"، فهذه المجالات :مجال الحسنات والصدقات وأنواع البر.. يحرص العبد على الاستكثار منها، قال: وقد دل على ذلك القرآن والأحاديث الصحاح في التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام والحج وسائر الأعمال التي يقال فيها "من قال كذا أو عمل كذا غفر له"، يعني مثلا قوله التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما

اجتنبت الكبائر»، قال عليه الصلاة والسلام في الحج: «من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كمن ولدته أمه» ..هناك أحاديث كثيرة يذكر فيها من فعل كذا غفر له.. مثل:((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))،((من قام ليلة القدر.. من صام يوم عرفة.. من صام يوم عاشوراء..)) أحاديث كثيرة.. أشار إليها شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: من (قال كذا أو عمل كذا غفر له أو غفر له ما تقدم من ذنبه)، وهي كثيرة لمن تلقاها من السنن خصوصا ما صنف في فضائل الأعمال، يعني أهل العلم صنفوا مصنفات خاصة في فضائل الأعمال والعبد فعلا يحتاج إلى أن يمر على هذه الكتب حتى يعرف الأعمال الصالحة وفضائلها حتى تنشط همته وترتفع عزيمته للإكثار من هذه الأعمال لأن العبد يحتاج إلى أمرين : إلى علم يهدي.. وهمة عالية تعطي.. فإذا يحتاج العبد إلى القراءة في هذه الكتب، وفي كتاب الإمام النووي رحمه الله (رياض الصالحين) عدد كبير من الأحاديث في هذا الباب ((باب فضائل الأعمال))، وهناك أيضا مصنفات خاصة أفردت في هذا الباب. نعم.

قال رحمه الله تعالى:

واعلم بأن العناية بهذا من أشد ما للإنسان الحاجة إليه فإن الإنسان من حين يبلغ خصوصا في هذه الأزمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه فإن الإنسان الذي ينشأ بين أهل علم ودين قد يتلطخ بأمور الجاهلية بعدة أشياء فكيف بغير هذا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد رضي الله تعالى عنه:«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن» هذا خبر تصديقه في قوله تعالى: «فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا» ولهذا شواهد في الصحاح والحسان وهذا أمر قد يسري في المنتسبين إلى الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة فإن كثيرا من أحوال اليهود قد ابتلي به بعض المنتسبين إلى العلم وكثيرا من أحوال النصارى قد ابتلي بها بعض المنتسبين إلى الدين كما يبصر ذلك من فهم دين الإسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ثم نزله على أحوال الناس.

الشارح:

يقول رحمه الله: ((واعلم أن العناية بهذا من أشد ما للإنسان الحاجة إليه))،(العناية بهذا) أي الأمور الثلاث التي هي: التوبة و الاستغفار و الأعمال الصالحة المكفرة، وقلت لكم أنها التي بهذه الدنيا أربعة، الرابع: ذكره رحمه الله لاحقا بقوله:. وسيأتي معنا . ومما يزيل موجب الذنوب المصائب المكفرة هذا الرابع، ولكن لماذا لم يذكره هنا مع هذه الثلاث أجيبوا؟ ...

لأنه يقول:(اعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالإنسان الحاجة إليه) ،المصائب المكفرة هذه ما تستطيع أنت أن تعتني بها ،تستجلب لنفسك مصائب تكفر بها الذنوب، إذا هنا هذه الأمور الثلاث مما يطلب من العبد أن يعتني بفعلها التي هي: (التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة)، أما المصائب فهذا شيء يبتلى به الإنسان

وليس منه طلب له، ولا يجوز أصلا أن يطلب الإنسان المصيبة أو أن يجر على نفسه مثلا مصيبة أو مرض أو نحو ذلك يقول من أجل أن أكفرالذنوب . أعيد مرة ثانية : شيخ الإسلام رحمه الله قال :(والذنوب يزول موجبها بأشياء)، قال:(أحدها، الثاني، الثالث)، التوبة والاستغفار والحسنات أو الأعمال الصالحة المكفرة، ثم الرابع ذكره مؤخرا ولم يذكره مع هذا العدد، لم يقل هنا رابعا لغرض قصده رحمه الله بتأخيره وهو التنبيه الذي أتى به(...)، قال: واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالإنسان الحاجة إليه، العناية بهذا إشارة إلى هذه الثلاث التي تقدمت:(التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة)،حاجة العبد إلى هذه شديدة جدا. قال: فإن الإنسان من حين يبلغ.. ونحن نقرأ كلام شيخ الإسلام ينظر الإنسان إلى الوراء إلى تاريخه منذ نشأته أوفي صباه.. من بلغ الستين.. من بلغ السبعين.. من بلغ الثمانين.. ينظر من حين النشأة ويتأمل في التاريخ..، يقول: فإن الإنسان من حين يبلغ خصوصا في هذه الأزمنة ونحوها . ليس في القرن هذا يتحدث عن القرن السابع . يقول: وخصوصا في هذه الأزمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه فإن الإنسان الذي ينشأ بين أهل علم ودين . يعني في مثل تلك الأزمنة . قد يتلطخ من أمور جاهلية بعدة أشياء فكيف بغير هذا، يعني كيف برجل نشأ في قرية وبلدة لا يوجد فيها علماء ولايوجد فيها نصحاء والجهل فيها كثير والضلال كثير والانحرافات كثيرة والأخطاء عديدة ،كيف ستكون حاله.. كيف سيكون أمره..سيتلطخ بأشياء.. ليس معنى أنه تلطخ بأشياء أن (.............) لا مدامت الروح في الجسد أمامك فرصة، لو لم يبقى على عمر الإنسان إلا أيام قلائل وكتب الله سبحانه وتعالى له توبة جبت ما قبلها ولو كان ستين سنة ولو كان سبعين سنة (أحسن فيما بقي يغفر لك ما قد مضى) ،بعض الناس فعلا مثل ما أشار شيخ الإسلام رحمه الله ينشأ في أجواء وفي أوساط انحرافات وخمور ومسكرات.. فساد.. انحراف.. إلى آخره ،ثم يظن أن مثله انتهى أمره ولا مجال(أبدا) ما دامت الروح موجودة(الباب) باب التوبة مفتوح أمامه ما لم تغرغر ،إذا غرغر وعاين الموت لا تقبل التوبة وقت إذ ، و إذا طلعت الشمس من مغربها لا تقبل التوبة حينئذ، والباقي مجال مفتوح يتوب إلى الله سبحانه وتعالى ومن تاب تاب الله عليهو قال: خصوصا في هذه الأزمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه ،(فإن الإنسان الذي ينشأ بين أهل علم ودين)، يعني في تلك الفترات، قد يتلطخ من أمور الجاهلية بعدة أشياء فكيف بغير هذا ، يعني كيف بإنسان نشأ أصلا في مجتمع وبيئة لا علم فيها ولا دين. قال:(وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال:« لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، وجحر الضب يتميز عن غيره من جحور الزواحف أنه متلوي . بمعنى لو فعلوا أشياء ملتوية أشد الالتواء سيوجد في المسلمين من يقلدهم فيها، انظروا حال كثير من المبتلين بضعف الإيمان كيف قلدوا الكفار في قصة الشعر.. كيف قلدوا الكفار في اللباس.. كيف قلدوا الكفار في صبغ الوجه..(يصبغ الوجه بألوان إذا رأيته لا تظنه من بني آدم) ، يعني يتحول إلى حال سيئة جدا ،لا لشيء إلا لأنه رأى بعض الكفار فعلوا ذلك فيريد محاكاة الكفار وتقليدهم، قصات شعر يعني بعضها(بدون مبالغة) عند ذوي الفطرة إذا رأوها تسبب استفراغ . قذرة جدا . وتجد في المسلمين من يقلد ويحاكي تلك الأعمال القذرة التي تمجها

العقول السليمة والفطر المستقيمة فضلا عن الديانة الصحيحة، فإذا هذه الأشياء موجودة(لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)، شيخ الإسلام هنا ينبه حتى لو حصل بعض الشبه من بعض الناشئة في فترة من فترات حياته تلطخ بهذه الأشياء ليس معنى ذلك أن الباب أغلق وانتهى ، باب التوبة مفتوح، يقصد هذا شيخ الإسلام أورد هذا الحديث يقصد التنبيه على هذا المعنى يعني ستوجد الأضباء.. سيوجد من يتشبه.. سيوجود من كذا.. ،لكن باب التوبة مفتوح فبادر وسارع إلى التوبة.. إلى الحسنات أكثر منها.. إلى الاستغفار أكثر من الاستغفار.. قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن. قال: وهذا خبر تصديقه(هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم تصديقه في قوله) :«فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا»، وله شواهد في الصحاح والحسان ، في الأحاديث الصحيحة والأحاديث الحسنة شواهد كثيرة على هذا المعنى. هذا التلطخ ليس فقط في الفسقة والمبتلين بالفجور.. يقول: وهذا أمر قد يسري في المنتسبين إلى الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة فإن كثيرا من أحوال اليهود قد ابتلي بها بعض المنتسبين إلى العلم ، وكثيرا من أحول النصارى قد ابتلي بها بعض المنتسبين إلى الدين، فتجد مثلا أناس عندهم علم فلا يعملون، وتجد أناس أيضا عندهم عبادات ولكن فيهم شبه بالنصارى في طاقاتهم في أعمالهم ، ولهذا جاء في الأثر ويروى مرفوعا قريبا من هذا المعنى(من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى)، قال:(كما يبصر ذلك من فهم دين الإسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ثم نزله على أحوال الناس) ،يعني هذا المعنى الذي يشير إليه شيخ الإسلام لا يظهر لكل أحد وإنما يظهر لشخص عرف دين السلام واتضح له ثم نظر إلى واقع الناس يجد هذه المعاني موجودة مثل ما أشار رحمه الله تعالى، ثم استمر رحمه الله في بيان ما يتعلق بهذا من معنى وتتمة . نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينفعنا بهذه الوصية وأن يجعلنا ممن يكون هذا العلم حجة لهم لا عليهم .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما.. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا.. آمين.

انتهى الشريط الثاني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصبحه أجمعين أما بعد:
فيقول شيخ السلام أحمد ابن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

وإذا كان الأمر كذلك فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وكان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس لا بد أن يلاحظ أحوال الجاهلية وطريق الأمتين المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى فيرى قد ابتلي ببعض ذلك فأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات وهو إتباع السيئات الحسنات والحسنات ما ندب الله إليه على لسان خاتم النبيين من الأعمال والأخلاق والصفات.

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

سبق أن بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الأمور التي تمحص العبد وتخلصه بإذن الله تبارك وتعالى مما اقترفه من ذنوب فتكون مانعا للعقوبة المترتبة على الذنب فذكر رحمه الله أن الذنوب يزول موجبها بأشياء فذكر أمورا ثلاثة وهي التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة المكفرة ثم بعد ذلكم أضاف أمرا رابعا يأتي ذكره وهو المصائب التي يصاب بها العبد وعرفنا أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أخر هذا الأمر الرابع قصدا لأنه ليس مما للعبد فيه كسب أو عمل وإنما هو شيء يبتلى به فيحتسبه المبتلى عند الله تبارك وتعالى كفارة ورفعة والمصائب كفارات ولأجل ذلكم أخره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وبين في هذه الأثناء حاجة العبد الشديدة إلى العناية بهذه الأمور الثلاث التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة حاجة العبد الشديدة إلى هذه الأمور الثلاثة التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة خاصة عندما ينشأ الإنسان في بيئة ومجتمع يقل فيه العلم والدعوة ويقل فيه الصلاح وأهل الصلاح فإذا نشأ الإنسان في مثل هذه المجتمعات سيكون مبتلى بشيء قليل أو كثير من هذه المعاصي والآثام التي تترتب عليها عقوبات عند الله سبحانه وتعالى فهو بحاجة إلى أن يعرف الأمور التي تذهب آثار تلك الذنوب بأن تمحو الذنب تمحو الخطيئة تذهب السيئة بحاجة إلى أن يعرف ذلك ولاسيما عند ما ينظر إلى حياته وتاريخه ويجد أنه مليء بأشاء وأشياء كثيرة ثم يذكر أنه سيلقى الله وأن الله يعاقب على هذه الأعمال إذا فهو يحتاج فعلا حاجة شديدة إلى هذه الأمور الثلاثة التوبة والاستغفار والإكثار من الأعمال الصالحة والله جل شأنه يقول:«إن الحسنات يذهبن السيئات» لما أشار رحمه الله تعالى إلى الزمان الذي تغلب فيه الجاهلية أو تكثر فيه الجاهلية استدل على وجود أنواع من الجاهلية في أوساط الناس بحديث النبي عليه الصلاة والسلام:«لتتبعن سنن من كان قبلكم» والحديث ولأن كان خرج مخرج الإخبار إلا أنه في الحقيقة تحذير للأمة من اتباع سنن اليهود والنصارى وتحذير من ذلك فأخبر عليه الصلاة والسلام محذرا كأنه يقول لأمته تيقظوا وتنبهوا واحذروا من هذا الأمر فإنه سيوجد من يتبع سنن من كان قبلنا ثم ينبه على أمر مهم للغاية ألا وهو متى يعرف الإنسان فعلا وجود الأشياء من الجاهلية في

النفس أو فيه هو نفسه ولاسيما إذا كان فاقدا للعلم كيف يعرف أن هذه الأشياء التي فيه أوفي الآخرين هي من الجاهلية فأصبح المقام يحتاج إلى علم وبصيرة بدين الله سبحانه وتعالى وأيضا يحتاج في الوقت نفسه إلى أن ينظر إلى واقعه وواقع الناس في ضوء ما تعلمه من دين الله تبارك وتعالى وأذكر قصة طريفة توضح هذا المعنى ألا وهي أن شابا حصل لي به اتصال في وقت سابق ومحادثة كان على ارتباط بطائفة من المتصوفة وحدثني عنهم باعتباره واحدا منهم وقال لي أنا منذ نشأت وأنا معهم وأمشي معهم وعلى طريقتهم ما رأيت فيهم بدعة إطلاقا يقول ما رأيت بدعة إطلاقا القوم ليس عندهم أي بدعة ما رأيت يقول اسألني أنا فقلت له أريد أن أرشح لك كتابا تقرأه ولا بأس أن نقرأه سويا أنا وأنت وجلست معه جلسات في هذا المسجد نقرأ من كتاب معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي رحمه الله تعالى قرأنا حتى بلغنا ثلث الكتاب ونحن نتعلم ونقرأ بأناة ونستفيد وما يشكل عليه أوضحه له لما جاوزنا ثلث الكتاب قال أريد أن أحدثك بشيء قلت تفضل قال يا أخي هؤلاء عندهم بدع كثيرة وعندهم ضلالات كثيرة. فالقضية هي ما هي؟ القضية عندما يكون فعلا ما درس وما تعلم وما تفقه ولا عرف نعم سيقول لا توجد البدع لكن إذا قرأ الآيات وقرأ الأحاديث وقرأ النصوص ووقف على الأدلة حينئذ يتنبه وهذا المعنى هو الذي ينبه إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن العبد يحتاج في هذا المقام أولا إلى أن يتبصر هو في الدين وأن يتعلم يقرأ الآيات والأحاديث ويعرف معانيها ودلالاتها ثم في ضوء ذلك ينظر إلى واقعه هو وأيضا إلى واقع الناس ثم بعد ذلك يعرف هل ثمة ضلالات هل ثمة جاهلية هل ثمة مخالفات لدين الله تبارك وتعالى تأمل كلام شيخ الإسلام يقول وإذا كان الأمر كذلك فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وكان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا أي العلم وجعل له نورا يمشي به في الناس لابد أن يلحظ أحوال الجاهلية وطريق الأمتين المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى فيرى أن قد ابتلي ببعض ذلك يرى أن قد ابتلي ببعض ذلك لكن متى يرى ذلك؟ إذا تعلم هو أما إذا بقي جاهلا غير متعلم ولا متفقه في دين الله تجده ممتلئ بالبدع ويقول ما أعرف البدعة في حياتي أبدا ولا وقعت في بدعة أبدا وإذا سمع خطيبا يحدث أو واعظا يحدث عن بدعة يسمع الكلام الذي يوعظ به وهو في نفسه يقول ما يعنيني يسمع الكلام الذي يوعظ به وهو يقول هذا لا يعنيني لأنه لست صاحب بدعة والسبب في ذلك أنه لم يتعلم لم يتبصر لم يتفقه في كتاب الله وفي سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه إذا ما هو المخلص يقول رحمه الله فأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات ورطات ماذا؟ قال قبل قليل أن الإنسان إذا نشأ في مجتمعات يقل فيها العلم وتكثر الجاهلية لابد أن يبتلى بشيء من المعاصي بشيء من الذنوب بشيء من الخلل والنقص بشيء من التفريط بالواجبات لابد أن يقع في ذلك لابد أن يتورط فقال فأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات مثل ما يفعل أرباب الدنيا كلمة ورطة هذه كلمة شائعة شائعة جدا يعني كثيرا ما يتحدث عنها الناس يقول فلان تورط أنا متورط تورطنا هذه كثيرة دارجة يمكن ما يمر يوم إلا وتسمعها لكن عامة حديث الناس عنها في أمور الدنيا عامة حديث الناس عنها والورطة و أنا ورطان ورطة وتجده لما يتحدث عنها كلها في أمر دنيوي لكن ابن تيمية وأهل النبل وأهل الفضل الورطة عندهم هي الورطة في الدين مثل ما جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله

تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله (ورطات الأمور) ذاك الذي نشأ في جاهلية وبين أناس لا يصلون بين أناس يقعون في المعاصي كبائر الآثام ثم يجد أنه ترعرع في هذه الورطة متورط معهم في هذه الأشياء مضى عليه ردحا من حياته لا يصلي ردحا من حياته يعاقر الخمور النساء المحرمات الآثام إلى كذا وهو بين عشية وضحاها سيفارق هذه الحياة ويلقى الله سبحانه وتعالى بأعماله هذه كلها وسيحاسبه رب العالمين عليها إذا هو في ورطة في ورطة عظيمة جدا كيف يتخلص من هذه الورطة التي هو فيها ولا يليق بعاقل أن يبقى في ورطة إلى أن يلقى الله العاقل هو الذي يسعى إلى تخليص نفسه من الورطة التي هو فيها فيقول رحمه الله أنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطة ما الذي يخلص النفوس من هذه الورطات مر معنا التوبة والاستغفار والحسنات الماحية هذا الذي يخلص ثلاثة أمور التوبة والاستغفار والحسنات الماحية أي ذنب وقع فيه العبد يتوب إلى الله وباب التوبة مفتوح حتى لو أمضى في الذنب ستين سنة باب التوبة مفتوح يتوب إلى الله توبة صادقة في لحظة واحدة ستين سنة كلها تمحى هذا فضل الله سبحانه وتعالى إذا التوبة الصادقة تخلصه من الورطة الاستغفار يلهج بالاستغفار ويكثر من الاستغفار هذا أيضا مما يعينه على الخلاص من هذه الورطة أيضا الإكثار من الحسنات من صلاة وصيام وصدقة وبر وصلة إلى غير ذلك هذه أيضا مما تساعده على الخلاص من هذه الورطة إن الحسنات يذهبن السيئات وأتبع السيئة الحسنة تمحها قال وهو إتباع السيئات الحسنات قال والحسنات ما ندب الله إليه على لسان خاتم النبيين من الأعمال والأخلاق والصفات فيحرص العبد على هذه الأعمال التي بعث بها النبي عليه الصلاة والسلام من أعمال صالحات قولية أو فعلية أو أخلاق فاضلة أو صفات أو نحو ذلك يحرص على ذلكم أشد الحرص ليكون بذلكم خلاصه من تلك الورطات يضيف رحمه الله أمرا رابعا يزيل موجب الذنوب وهو أيضا يقع في الدنيا وهو المصائب المكفرة قال ومما يزيل موجب الذنوب المصائب المكفرة ما هي المصائب؟ قال كل ما يؤلم من هم أو حزن أو أذى في مال أو عرض أو جسد أو غير ذلك كل هذه الأشياء التي يصاب بها العبد كلها مكفرات والنبي عليه الصلاة والسلام لما عاد مريضا قال له طهور إن شاء الله أي مطهرة لك مكفرة فما يصاب به العبد من هم أو حزن أو أذى أو حتى الشوكة يشاكها كفر الله بها من خطاياه كما ثبت بذلكم الحديث عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه وينبغي على العبد أن يحتسب ذلك كل ما يصاب به من أي مصيبة أي كانت في بدنه في صحته في ماله في تجارته في ولده والله يقول:«ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات» فهذه الأنواع من الابتلاءات التي لا يخلو الإنسان منها يحتسبها عند الله تبارك وتعالى كفارة لذنوبه قال لكن ليس هذا من فعل العبد يعني هذه المصائب التي يصاب بها من مرض من فقر من حاجة من أذى إن أحد يتعرض له بأذى أو نحو ذلك ليس هذا من كسب العبد لكن ليس هذا من فعل العبد يعني ليس هذا أمر باشره العبد مثل الأمور السابقة التوبة والاستغفار والأعمال الصالحات ولهذا أخر ذكر هذا الأمر الرابع إلى هذا الموضع هذه الأربعة أشياء التوبة والاستغفار والحسنات والمصائب المكفرة هذه في الحياة الدنيا تمحص الإنسان وهو في الحياة الدنيا تمحصه من ذنوبه وفضل الله

سبحانه وتعالى عظيم في تمحيص أصحاب الذنوب وأرباب الخطايا فهناك أيضا ممحصات أخرى بعد ذلك إن لم تفي هذه الأربعة بتمحيصه فهناك ثلاث ممحصات في القبر هناك ثلاث ممحصات للإنسان من ذنوبه وخطاياه تكون له بعد وفاته الأمر الأول صلاة الجنازة واستغفار المسلمين له ودعائهم له بالمغفرة والرحمة والنجاة من النار والنبي عليه الصلاة والسلام في الصلاة على الجنازة يقول:«اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله وأوسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس» هذه دعوات تنفع المؤمن تنفع الميت المسلم تنفعه هذه الدعوات هذا أمر أول الأمر الثاني ما يكون في القبر من فتنة القبر وروعة القبر والفتانات يأتيه ملكان سود الوجوه زرق العيون يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فهذه أيضا مما يكون فيه تمحيص للعبد الأمر الثالث ما يهدى للميت من ثواب أعمال مثل أن يحج عنه أن يتصدق عنه ونحو ذلك هذه أيضا تفيد الميت وهذه أمور ثلاثة تكون في القبر إضافة إلى الأمور الأربعة السابقة أصبحت سبع أمور إن لم تفي هذه أيضا هناك ممحصات يوم القيامة يوم يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى الأمر الأول أهوال يوم القيامة وما يكون في ذلك اليوم من أهوال وشدائد وفزع أيضا هذه تمحص بإذن الله تبارك وتعالى الأمر الثاني شدة الموقف والناس يقفون في ذلك اليوم يوم مقداره خمسين ألف سنة فهذا اليوم فيه تمحيص لأصحاب الذنوب وأصحاب الخطايا أيضا شفاعة الشفعاء وعلى رأسهم سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه اللهم أكرمنا أجمعين بشفاعته يا ذا الجلال والإكرام سيد الشفعاء سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه إذا هذا أمر ثالث يوم القيامة الأمر الرابع عفو الله سبحانه وتعالى ولما يشفع الشفعاء جاء في الحديث أن الله سبحانه وتعالى يقول بقيت شفاعة أرحم الراحمين ومعنى شفاعة أرحم الراحمين والحديث في البخاري أي إرادته سبحانه وتعالى من نفسه أن يرحمه ولا يعذبه بعد الشفاعات التي تكون يقول جل شأنه بقيت شفاعة أرحم الراحمين أي إرادته سبحانه وتعالى من نفسه جل شأنه أن لا يعذبهم إذا هذه الآن نحو عشرة أمور أو أحد عشرة أمر كلها ممحصات لكن الذي ينبغي أن يعتني به العبد فعلا ما كان من كسبه ومن عمله وهي الأمور الثلاث التي بدأ بها رحمه الله تعالى فيحرص على التوبة النصوح ويحرص على الإكثار من الاستغفار ويحرص على الإكثار من الحسنات إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين أيضا هنا أروي قصة طريفة ومفيدة في هذا الباب الحسن البصري رحمه الله تعالى لقي رجلا عنده شيء من التفريط فأراد أن يعظه فقال له كم تبلغ من العمر ؟ قال ستين سنة قال أما علمت أنك في طريق وقد أوشكت أن تبلغ نهايته. أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين قال الرجل إنا لله وإنا إليه راجعون قال له الحسن أوتعرف تفسيره يعني هذا القول الذي قلته هل تعرف معناه إنا لله وإنا إليه راجعون قال وما تفسيره وهذا ينبه إلى أن الكثير من الناس والعوام يأتون بأذكار مشروعة لكن إن سألته عن معناها لا يدري إن سألته يقول سبحان الله و قلت ما معنى سبحان الله يقول كلمة طيبة لكن معناها لا يدري أو إنا لله وإنا إليه راجعون أيضا لا يدري ما معناها فقال أوتعلم تفسيره تنبيها منه لأهمية معرفة معنى هذه الأذكار الشرعية وفي هذه يقول ابن القيم أن الأذكار المشروعة إذا لم تعقل معانيها تكون عديمة الأثر أو ضعيفة الأثر فقال الرجل وما تفسيره قال إنا لله أي أنا لله عبد وإنا إليه راجعون أي أنا إليه راجع وانظر

كيف أن هذه الكلمة تسلية للمصاب إنا لله «وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون» تكون تسلية للمصاب عندما يعقل معناها إنا لله يعني هذه النفس العزيزة إلي التي ذهبت هي لله ولله ما أخذ وله ما أعطى وإنا إليه راجعون كلنا سنرجع إلى الله سبحانه وتعالى ليس هذا فقط فيسل ويعلم أن الجميع لله يقضي ما يشاء يحكم بما يريد له ما أخذ وله ما أعطى سبحانه وتعالى والمرجع إلى الله كلنا راجعون إلى الله سبحانه وتعالى فقال فإذا علمت أنك لله عبدا وأنك إليه راجع فاعلم أنه سائلك وإذا علمت أنه سائلك فأعد للمسألة جوابا قال الرجل ما الحيلة أدرك الآن حقيقة الأمر وتنبه وتيقن فأراد المخرج قال ما الحيلة قال الحيلة يسيرة قال وما هي قال أحسن فيما بقي يغفر لك ما قد مضى يعني إذا كان الذي قد مضى ستين سبعين ثمانين سنة أحسن في الذي بقي من حياتك وانظر كرم الرب سبحانه وتعالى أحسن فيما بقي يغفر لك ما قد مضى فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت فيما بقي وفيما مضى تصوروا الآن أمرا يقرب لنا هذا المعنى شخص مفرط بلغ ستين سبعين سنه وهو لا يزال مفرط ثم جاءه واعظ ومذكر تب إلى الله أحسن فيما بقي ولكنه أصر أن يبقى على تفريطه وأجل الإحسان فيما بقي إلى ما بعد سنة مثل ما يحصل من كثير من الناس يؤجلون التوبة فأجلها مثلا سنة شهر إلى آخر ذلك ثم بعد أيام أيام خمسة أو ستة أو سبعة توفي أي خسارة هذه والإنسان لا يدري إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء فقد يصادف الإنسان موعظة تدخل قلبه لا ينبغي له يا إخوان أن يفوتها على نفسه بل عليه أن يتوب وما يدريه لعل هذه التوبة التي يكرمه الله سبحانه وتعالى بها لا يبقى له من الحياة بعدها إلا أيام قلائل فيكون أحسن فيما بقي وغفر له ما قد مضى بينما لو أصر على ذنبه يبقى في الذنب خمسة أيام يبقى في الذنب ويأخذ بهذه الخمسة أيام وبالسنوات الطوال كلها خسارة عظيمة جدا فالبدار البدار المسارعة المسارعة لا يؤجل الإنسان ولا يؤخر وكم من إنسان أجل وداهمه الموت وباغته الأجل قبل أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى ويرجع إليه سبحانه وتعالى فإذا مسارعة الإنسان إلى اغتنام هذه الأمور الثلاثة التي أشار إليها شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أمر فعلا يحتاج إليه العبد حاجة ماسة التوبة النصوح وملازمة الاستغفار والإكثار من الحسنات ونسأل الله لنا أجمعين العون على ذلك وعلى كل خير بمنه وكرمه وجوده وإنعامه. نعم.

قال رحمه الله تعالى:

فلما قضى بهاتين الكلمتين حق الله من عمل الصالح وإصلاح الفاسد قال وخالق الناس بخلق حسن وهو حق الناس وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عمن ظلمك في دم أو مال أو عرض وبعض هذا واجب وبعضه مستحب وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فهو الدين الجامع لجميع ما أمرالله به مطلقا هكذا قال مجاهد وغيره وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن وحقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس وانشراح صدر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فلما قضى بهاتين الكلمتين حق الله من من عمل الصالح وإصلاح الفاسد لأن النبي عليه الصلاة والسلام لما وصى معاذا قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها قوله اتق الله

حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها يتناول جانبين الأول عمل الصالح في قوله اتق الله حيثما كنت والجانب الثاني إصلاح الفاسد بقوله وأتبع السيئة الحسنة تمحها فالعبد يحتاج إلى هذا وهذا يحتاج إلى العمل الصالح ويحتاج أيضا أن يصلح الفاسد يرقع ما يبدر ويقع من أخطاء وعرفنا أن الخطأ حتم وأن كل بني آدم خطاء وأنه لابد من الذنب فيحتاج إلى هذين الأمرين العمل الصالح وإصلاح الفاسد العمل الصالح الإشارة إليه بقوله اتق الله حيثما كنت وإصلاح الفاسد الإشارة إليه بقوله و أتبع السيئة الحسنة تمحوها قال فلما قضى بهاتين الكلمتين حق الله من عمل صالح وإصلاح الفاسد قال وخالق الناس بخلق حسن وهذا حق الناس وقد أشار في بداية الحديث لوجه كونها جامعة أنها اشتملت على حقين حق الله وحق الناس فحق الناس لخصه عليه الصلاة والسلام في هذه الوصية بقوله خالق الناس بخلق حسن ماهو الخلق الحسن؟ وما جماع الخلق الحسن؟ عرفه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بتعريف عظيم وتعريف جامع والموفق من عباد الله من يوفق للقيام بالخلق الحسن على هذا الوصف الذي عرفه وذكره شيخ الإسلام رحمه الله تعالى قال جماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء والاستغفار والثناء عليه والزيارة له هذا جماع الخلق الحسن وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عن من ظلمك في دم أو مال أو عرض هذا جماع الخلق الحسن هناك أخلاق يعني تدرج بين الناس لكنها تبادل مصالح ومنافع يعني يعاملني بمعاملة جميلة فأنا أعامله بالمثل لكن الخلق الحسن الذي يظهر فعلا في صاحبه وحرصه على التقرب إلى الله سبحانه وتعالى به ونيل الثواب العظيم الذي أعده الله سبحانه وتعالى لأهل الأخلاق العالية الرفيعة هو الذي يكون بهذا الوصف ليس الذي يكون على سبيل المقابلة يصلون وأصلهم يعطون وأعطيهم يكافئون وأكافئهم الخلق الحسن يظهر ويتمحص في مثل هذا الوضع في مثل هذه الصورة التي يتحدث عنها شيخ الإسلام فشيخ الإسلام لما عرف الخلق الحسن عرفه بمحك يتميز ويظهر ويبرز فيه الخلق الحسن فعلا لا أن الخلق الحسن منحصر في هذه ولكن هذا محك يميز فعلا ويجلي فعلا أن صاحب هذه الأعمال فعلا فعلا على خلق كبير وخلق عال ورفيع جدا قال جماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء والاستغفار والثناء عليه والزيارة له هذه أمور تحتاج إلى قلب كبير وتحتاج قبل ذلك إلى عون من الله سبحانه وتعالى وإلا من الذي يسمو إلى هذا المستوى العالي إلا من يوفقه الله سبحانه وتعالى مر معنا قبل أيام كلاما عظيما لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العفو كلام مؤثر جدا جميع الحاضرين تأثرنا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان كلامه مؤثرا فبعدها بأيام أحد الأفاضل من الحاضرين يحدث بعفوية عن نفسه وعن واقع حاله قال منذ سمعت ذلك الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وأنا نفسي تريد هذه الأعمال لكن يقول إلى الآن ما استطعت يعني اقتنع أن هذه الأخلاق فاضلة عالية كبيرة جدا لكن يقول ما استطعت ونرجوا الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الأخ الكريم قد استطاع وأن يعيننا جميعا على ذلك وأن يوفقنا لكل خير فمثل هذه الأمور هي محك فعلا هي محك يظهر فيها خلق الإنسان يعني فيه كثير من الناس تجد تعامله جميل ورائع جدا لكن إذا جاء إلى هذا المحك إذا وصل إلى هذا المحك ينسى الأخلاق وينسى التعامل الجيد إذا أساء إليه جاره أو أساء إليه أحد أقربائه إساءة أخلاقه تلك الجميلة اللطيفة تتحول إلى شراسة وتتحول إلى فظاظة وإلى غلظة إذا هنا محك يميز فعلا صاحب الأخلاق أيضا لما يكون شخص له عند الآخرين مصلحة وتجده بأخلاق عالية جدا في مستوى من الأخلاق

فإذا وصل إلى هذا المحك ظهرت معادن الناس هنا تظهر المعادن وحقيقة الإنسان في خلقه ولهذا جاء شيخ الإسلام رحمه الله كما يعبر في الصميم وقال جماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عن من ظلمك في دم أو مال أو عرض هنا يقف الإنسان وقفة جادة مع نفسه في حياته يعني قد يكون مثلا ابتلي في حياته بمثلا معاملة ليست بذاك من والده أو من والدته أو من خاله أو من خالته أو عمه أو عمته أو أستاذه أو معلمه فما هو الخلق الحسن ؟ هنا يبرز حقيقة الخلق الحسن في تعامل الإنسان كثيرا من الناس في هذا المحك يسقط تماما يقول هؤلاء منذ كذا وهم يفعلون ولا يستحقون مني أي خلق ولا يستحقون أي معاملة إلى آخر ذلك فهنا حقيقة يتميز الخلق الحسن خذوا صورة تقرب الموضوع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي يحدث عن هذا الكلام وحياته عجب في تطبيق هذه الأخلاق العالية الرفيعة رحمه الله تعالى يقول ابن القيم: لما مات أحد الألداء وخصوم شيخ الإسلام الأعداء جاء أحد طلاب ابن تيمية فرحا إلى شيخ الإسلام يقول أبشرك فلان مات يسوق بشارة لشيخ الإسلام أن ألد خصومه وأعدائه مات يقول ابن القيم فغضب ونهر الرجل من هذا الكلام وقام من فوره وذهب إلى بيت أولاده إلى بيت أهله وعزاهم وقال أنا لكم مكانه ولا تحتاجون شيء أو مساعدة إلا وتطلبون مني أنا مكانه فأكبروا فيه هذا الخلق وتأثروا تأثرا عظيما بهذا الخلق حتى قال بعض من عاشر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال ليتنا لمن نحب مثل شيخ الإسلام مع خصومه ليتنا بالأخلاق لمن نحبه مثل شيخ الإسلام ليتنا مع أحبابنا وإخواننا مثل شيخ الإسلام مع خصومه ولما خرج من السجن وكان بوشاية من خصومه من أهل البدع من قاضاة ونحوه دعاه السلطان وقد حصل بينه وبين بعض القضاة شيء فأراد أن يستغل إيذائهم لشيخ الإسلام وتحريضهم على قتله فدعى ابن تيمية وقال له إنهم فعلوا كذا وفعلوا كذا وأرادوا قتلك فأريد أن تعطيني فتوى بقتلهم أريد أن تعطيني فتوة بقتلهم فقال له شيخ الإسلام هؤلاء علماء البلد هؤلاء قضاة هؤلاء إذا قتلتهم لا تجد مثلهم قال أما خطأهم في حقي فهم في حل وأن أحللتهم وأحللت كل مسلم ولا أطالب أي مسلم بشيء تعلق بي أنا وأخذ يعظه ويذكره في هذا المقام حتى قال أحد القضاة وهو ابن مخلوف من خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية قال قدرنا على ابن تيمية فحرضنا عليه ولما قدر علينا عفى عنا وحاجج عنا فالخلق الحسن الخلق الكبير يظهر في هذا المحك الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لما نقرأ مثل هذا العلوم نحتاج إلى خطوتين نحتاج إلى أمرين قرأنا كلام عظيم كلنا نقول هذا الكلام عظيم جدا ولا ينبغي أن نكع وننهزم ونقول نحن ما نستطيع بل من الساعة ونحن في مكان مبارك وفي درس مبارك إن شاء الله من الساعة نغير ونحرص على مثل هذه المعاني العالية الرفيعة قال عليه الصلاة والسلام:«احرص على ما ينفعك واستعن بالله» فنطلب من الله المدد والعون أن ييسر لنا هذه الأخلاق العالية الرفيعة وأن يجعلنا من أهلها وأن نخذ مباشرة بالأسباب وأذكر في بعض الدروس التي مرت بعض الإخوان من كريم أخلاقهم ونبيل لطفهم أنهم في الدرس ما انتظروا حتى يخرجوا من المسجد أخذوا يراسلون ويتصلون على بعض من بينهم وبينهم شيء من الخصومات وهذا هو مباشرة كسبا للخير ومبادرة إلى الخير ومسارعة له هذه الأخلاق عالية ورفيعة جدا وعظيمة وينبغي للإنسان أن يكسب مثل هذه المعاني وأن ينهض بنفسه وأن يسمو بخلقه حتى يكون من أهل هذه النفوس الكبار والأخلاق العالية وليس بعزيز على الله أن يكون جميع هذا

الجمع من أهل هذه الأخلاق الفاضلة الكريمة والمعين الله والموفق الله لا شريك له يقول رحمه الله وبعض هذا واجب وبعضه مستحب يعني هذا الذي ذكره والذي هو جماع الخلق بعضه واجب إذا كان متعلقا بالوالدين حتى لو كان الأب قاس أو شديد أو سيء المعاملة أو إلى آخره يعني الآن كثيرا من البيوتات خاصة الذي يكون فيه تعدد يميل إلى إحدى الزوجتين أو إلى أولاد الأخرى أو ما إلى ذلك تنشأ مشاكل وينشأ عقوق هنا محك لهؤلاء الأبناء حتى تبرز الأخلاق الفاضلة والخلق العالي متى يكون الإنسان صاحب فعلا خلق إلا في مثل هذه الأمور التي هي محك للإنسان أما إذا كان والده يكرمه ويحسن إليه وينعم إليه ويبر بوالديه لم يصل إلى المحك في البر وإن كان هو بار هكذا أكرمه الله سبحانه وتعالى وصار والده عون له على البر لكن إذا جاء الإنسان في المحك انظر المحك مثلا في قوله تعالى:«وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا» حتى لو بلغ الأمر بالأبوين أنه يجاهد ولده على الشرك الله يقول وصاحبهما في الدنيا معروفا فكيف بالأب إذا كان يمنن عليك لم يبلغ هذا المبلغ بمجاهدة أبنائه وأولاده على الشرك بالله سبحانه وتعالى إذا هذا محك يظهر في الابن هل هو فعلا من أصحاب الأخلاق الحسنة أو ليس من أصحاب الأخلاق الحسنة فيما يتعلق بالوالدين من لهم حقوق على الإنسان واجبة يكون واجب وفيما عدا ذلك تكون هذه الأخلاق وهذه المعاملات مستحبة قال وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقا هنا ينبه رحمه الله إلى مسألة مهمة في باب التقوى وأيضا في باب الأخلاق التقوى عند الإطلاق تشمل الدين كله بما في ذلكم الأخلاق الفاضلة القيام بالأخلاق الفاضلة هو من التقوى والخلق العظيم عندما يذكر وحده يشمل الدين كله وإذا اجتمعا في الذكر كما جاء في هذا الحديث إذا اجتمعا في الذكر أصبحت التقوى فيما يتعلق بحقوق الله وأصبحت الأخلاق الفاضلة فيما يتعلق بحقوق العباد والتعامل مع العباد يقول رحمه الله أما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقا الآن من الأخطاء الفادحة أن بعض الناس يغتر ببعض التعاملات الجميلة من بعض الكفار ويقول عندهم أخلاق عالية أي الخلق العالي وهم يكفرون برب العالمين؟ أين الأخلاق إذا كان يكفر برب العالمين يشرك بالله تبارك وتعالى أين الخلق وإن ابتسم لك وصانعك وعاملك بمعاملة مثلا جميلة تعجبك فهو فاقد الأخلاق طالما أنه يكفر بمن خلقه يشرك بمن خلقه يعبد مع الله غيره أين الخلق؟ فالخلق عند الإطلاق يشمل الدين كله «وإنك لعلى خلق عظيم» أي دين عظيم الخلق العظيم هو الدين كله بعض الناس ينحصر فهم الخلق عنده بالمعاملة بالمعاملة الطيبة ينحصر ولهذا ينبهر حيانا ببعض الكفار في بعض المعاملات ويصفهم بالأخلاق العالية أبدا لا توجد عندهم أخلاق عالية طالما أنهم يكفرون بالله هم فاقدون للخلق كيف يخلقهم الله ويعبدون غيره أي الخلق يخلقهم الله سبحانه وتعالى يمن عليهم بالنعم إلى آخر ذلك وهم يكفرون بالرحمن أين الخلق لا توجد أخلاق عندهم وهم يكفرون بالله سبحانه وتعالى هم فاقدون للخلق فلا يغتر المسلم ببعض المعاملات أو بعض التصرفات الجميلة ينبهر بها وينسى حقيقة الأمر وينسى حقيقة الحال وينسى سوء الخلق العظيم الذي يعيشه أولئك بكفرهم بالله سبحانه وتعالى وعدم عبادتهم لله الواحد القهار سبحانه وتعالى يقول رحمه الله وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقا هكذا قال مجاهد وغيره وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه

القرآن ماذا عنت عائشة رضي الله عنها لما قالت كان خلقه أي النبي صلى الله عليه وسم القرآن بمعنى أنك لا تجد أمر في القرآن أو نهي أو عبادة أو طاعة أو معاملة أو غير ذلك إلا وتجده صلى الله عليه وسلم متصفا بها متحليا بها كان خلقه القرآن ما حقيقة هذا الخلق الذي كان عليه صلوات الله وسلامه عليه قال حقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس وانشراح صدر هذا الخلق شخص يؤمر بالصلاة اتق الله قم ثم يقوم منزعج وهو مضطرب هل عنده خلق؟ أين الخلق؟ الخلق هو عند من يقبل على الطاعات وعلى أوامر الله سبحانه وتعالى بصدر منشرح بنفس مطمئنة بقلب مقبل على طاعة الله سبحانه وتعالى أما إذا كان عنده شيء من التململ والتضجر والانزعاج ونحو ذلك هذا من ضعف الأخلاق وسوء الأخلاق ورداءة الأخلاق فابن تيمية رحمه الله ينبه هنا على المعنى العالي الرفيع في بيان حقيقة الخلق وهو بما سبق ينبه إلى أن التقوى والخلق إذا اجتمعا كانت التقوى فيما يتعلق بحق الله سبحانه وتعالى وحسن الخلق فيما يتعلق بالمعاملة بين الناس إذا اجتمعت في الذكر أما إذا انفرد كل منهما عن الآخر فإنه يشمل الدين كله مثل الآية الكريمة قول الله سبحانه وتعالى:«وإنك لعلى خلق عظيم» ما المراد بالخلق هنا وإنك لعلى خلق عظيم أي على دين عظيم صلاة وصيام وعبادة هذه كلها داخلة تحت قوله وإنك لعلى خلق عظيم فالتقوى وحسن الخلق إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا إذا اجتمعا انفردت التقوى بالحقوق التي هي لله سبحانه وتعالى وحسن الخلق بالحقوق التي هي للعباد إذا انفرد كل منهما عن الآخر شمل معنى الآخر نعم.

قال رحمه الله تعالى:

وأما بيان أن هذا كله في وصية الله فهو أن اسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به إيجابا واستحبابا وما نهى عنه تحريما وتنزيها وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد لكن لما كان تارة يعنى بالتقوى خشية العذاب المقتضية بالا نكفاف عن المحارم جاء مفسرا في حديث معاذ وكذلك في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما الذي رواه الترمذي وصححه قيل يا رسول الله ما أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق قيل وما أكثر ما يدخل الناس النار قال الأجوفان الفم والفرج وفي الصحيح عن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» فجعل كمال الإيمان في كمال حسن الخلق ومعلوم أن الإيمان كله تقوى الله وتفصيل أصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضع فإنها الدين كله لكن ينبوع الخير وأصله إخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما في قوله:«إياك نعبد وإياك نستعين» وفي قوله:«فاعبده وتوكل عليه» وفي قوله: «عليه توكلت وإليه أنيب» وفي قوله:«فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له» بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين انتفاعا بهم أو عملا لأجلهم ويجعل همته ربه تعالى وذلك بملازمة الدعاء له في كل مطلوب من فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك والعمل له بكل محبوب ومن أحكم هذا فلا يمكن أن يوصف ما يعقبه ذلك.

يقول رحمه الله: وأما بيان أن هذا كله في وصية الله هذا كله أي الذي ذكر في حديث معاذ رضي الله عنه وأرضاه وسبق أن شيخ الإسلام لما ذكر وصية النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ ختم الحديث عنها بقوله هذا يبين لنا أنها وصية جامعة وأنها تفسير الوصية القرآنية ثم شرح ذلك قال أما بيان كونها جامعة فذكر بيان كونها جامعة ثم قال وأما بيان أن هذا كله في وصية الله في وصية الله أي التي مرت معنا في أول الكتاب «ولقد

وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله» هنا قد يسأل سائل كيف جمعت هذه الآية هذا التفصيل الذي جاء في وصية معاذ والخلق الحسن لم يذكر في الآية وهنا رحمه الله ابن تيمية يبين لنا عمق المعاني التي قد نغفل عنها الله لما قال:«ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله» قوله أن اتقوا الله فمعنى عميق واسع يشمل أمور عظيمة جدا يحتاج أن يتحلى بها الإنسان حتى يكون من أهل التقوى تقوى الله سبحانه وتعالى ليست كلمة يقولها الإنسان بلسانه أو دعوة يدعيها تقوى الله لها حقيقة ولها معنى عميق جدا فشيخ الإسلام رحمه الله بهذا يبين ذلك ويوضحه يقول أما بيان أن هذا كله في وصية الله يعني هذا الذي جاء في حديث معاذ موجود في وصية الله التي هي وصيته للأولين والآخرين أن اتقوا الله قال فهو أن اسم تقوى الله الذي جاء في الآية أن اتقوا الله يجمع فعل كل ما أمر الله به إيجابا واستحبابا وما نهى عنه تحريما وتنزيها وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد إذا قول الله تعالى أن اتقوا الله بإطلاقه ومفهومه يتناول ما جاء في حديث معاذ وخالق الناس بخلق حسن لأن مخالقة الناس بخلق حسن مما أمرنا الله سبحانه وتعالى به في كتابه ومما أمرنا به الرسول صلوات الله وسلامه عليه في سنته قال لكن لما كان تارة يعنى بالتقوى خشية العذاب المقتضية للانكفاف من المحارم جاء مفسرا في حديث معاذ يعني لما كانت التقوى تارة يراد بها خشية العذاب يعني أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية تقيك بترك المحارم البعد عن المحرمات جاء مفسرا في حديث معاذ بأن ذكر مع التقوى حسن الخلق ولهذا تجد في آيات أيضا في القرآن يذكر مع التقوى غيرها مثل أحيانا يذكر مع التقوى البر كما في آية البر في سورة البقرة وغير ذلك يعني يذكر مع التقوى معاني أخرى فعندما يذكر مع التقوى غيرها تكون التقوى منصبة على ترك المحارم والذي ذكر معها منصبا على ما يقابل ذلك وهو فعل الأوامر قال جاء مفسرا في حديث معاذ وكذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنهما الذي رواه الترميذي وصححه قيل:يا رسول الله ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: تقوى الله وحسن الخلق» ذكر الأمرين الذين وصى بهما صلى الله عليه وسلم معاذا رضي الله عنه قال تقوى الله وحسن الخلق قيل: وما أكثر ما يدخل الناس النار؟ قال: الأجوفان الفم والفرج قال هذه أكثر ما يدخل الإنسان النار فرجه ولسانه أكثر ما يكون سببا لدخول الناس النار الفرج واللسان وأيضا جاء فيما يقابل ذلك في حديث صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:من يضمن ما بين فكيه وما بين فخذيه أضمن له الجنة أو يدخل الجنة بمعنى أن من يحفظ لسانه ويحفظ فرجه له ضمان بدخول الجنة ومن يغشى الحرام بلسانه ويغشى الحرام بفرجه عرض نفسه للعقوبة.

قال رحمه الله تعالى وفي الصحيح عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«أكمل المؤمنين إيمان أحسنهم خلقا» قوله في الصحيح أي في الحديث الصحيح لأن أهل العلم رحمهم الله في إطلاق هذه العبارة تارة يراد في الصحيح أي في البخاري أو في مسلم أي في أحد هذين الكتابين الذين التزم فيهما بالصحة وإيراد الصحيح عن الرسول عليه الصلاة والسلام وتارة يراد بذلكم أي في الحديث الصحيح وإن لم يكن في الصحيحين وهو المعني هنا قال وفي الصحيح عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«أكمل المؤمنين إيمان أحسنهم خلقا» فجعل كمال

الإيمان في كمال حسن الخلق لاحظ المعنى الذي ينبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حتى تدرك الخطأ الفادح الذي يقع فيه بعض الناس عندما يسيؤون فهم الأخلاق يعني بعض الناس عندما يسيء فهم الأخلاق يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» قال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أو صالح الأخلاق فيقول المهم في الدين الخلق وبعضهم يسوق هذا الكلام في مقام التهوين من التوحيد ودراسته وتعلمه والتفقه فيه ويقول أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق وأعيد المعنى السابق حتى ندرك خطأ هؤلاء أين الخلق عند من يشرك بالله عند من يجعل مع الله أندادا والشركاء من يدعو غير الله من يستغيث بغير الله من يرفع يديه ويمدها ويقول مدد يا فلان أين الخلق عند من يقوم بهذا العمل رب العالمين يخلقه ويرزقه ويمده بالصحة والعافية والمال ويقول ادعوني أستجب لكم ثم يرفع يديه ويقول مدد يا فلان أين الخلق هذا أين الخلق عند من يلتجأ بدعواته وعبادته وسؤاله وطلبه لغير الله أين خلق من يتجه إلى المقبورين لمن لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا يبكي عند قبورهم يسألهم حاجاته ويعرض عليهم طلباته أين الخلق إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق الخلق في عبادة الله والخضوع له وانشراح النفس والقلب بطاعته وعبادته و معاملة الناس بالخلق الحسن فلاحظ هنا شيخ الإسلام رحمه الله يقول فجعل كمال الإيمان في كمال حسن الخلق ومعلوم أن الإيمان كله تقوى الله إذا دخلت التقوى في قوله أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا دخلت التقوى في قوله أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا فمن الخلق العظيم تقوى الله سبحانه وتعالى من الخلق العظيم إخلاص الدين لله سبحانه وتعالى وهكذا ينبغي أن تفهم هذه الأحاديث عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعيدا عن تلك الفهوم المغلوطة التي تنشأ من أرباب الانحراف وأرباب الضلالات في المعتقد ونحوه ثم يفهمون الأحاديث عن غير وجهها وعلى غير بابها قال وتفصيل أصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضع يعني الأمر يحتاج إلى بسط قوي وبيان واسع لكن الموضع وخاصة أن من طلب من شيخ الإسلام رحمه الله قال على سبيل الإيماء والاختصار يعني يريد أن تشير إشارات ما أراد تفصيله قال وتفصيل ذلك لا يحتمله هذا الموضع فإنها الدين كله التقوى هي الدين كله لكن ينبوع الخير وأصله إخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما في قوله: «إياك نعبد وإياك نستعين» وفي قوله: «فاعبده وتوكل عليه» وفي قوله:«عليه توكلت وإليه أنيب» وفي قوله:«فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له» فجماع الخير في هذين الأمرين أن يخلص العبادة لله وأن يخلص الاستعانة به تبارك وتعالى فيعبده ولا يعبد غيره ويستعين به تبارك وتعالى ولا يستعين بغيره يوضح ذلكم رحمه الله فيقول بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين انتفاعا بهم أو عملا لأجلهم يقطع من قلبه أن يكون متعلقا بالمخلوقين سواء من جهة الانتفاع بالمخلوقين أو من جهة العمل لأجل المخلوقين ويجعل همته ربه يعني يجعل عزيمته واهتمامه وما يعمل لأجله ربه سبحانه وتعالى وفي الدعاء: اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا قال ويجعل همته ربه تعالى وذلك بملازمة الدعاء له في كل مطلوب من فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك فلا يسأل إلا الله والعمل له بكل محبوب فلا يعمل إلا لله فيجمع بين ما سبق ذكره إياك نعبد وإياك نستعين فاعبده وتوكل عليه فلا يعمل إلا لله ولا يستعين على ذلك إلا بالله سبحانه وتعالى لما نبه على هذا المعنى العظيم أكد على أهمية

فهمه والعمل به قال ومن أحكم هذا أي علما وعملا فلا يمكن أن يوصف ما يعقبه ذلك يعني ما يمكن أن توصف الخيرات والثمار و الآثار العظيمة التي يجنيها من أحكم هذا الأمر علما وعملا والتوفيق بيد الله وحده لا شريك له وهو جل وعلا وحده المعين والهادي إلى صراط مستقيم نسأله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يصلح شأننا أجمعين اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر اللهم أعنا ولا تعن علينا وانصرنا ولا تنصر علينا وامكر لنا ولا تمكر علينا واهدنا ويسر الهدى لنا وانصرنا على من بغى علينا اللهم اجعلنا لك ذاكرين لك شاكرين إليك أواهين منيبين لك مخبتين لك مطيعين اللهم تقبل توبتنا واغسل حوبتنا وثبت حجتنا واهد قلوبنا وسدد ألسنتنا واسلل سخيمة صدورنا اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء و الأدواء والأغواء اللهم أعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن شر الشيطان وشركه اللهم وأصلح ذات بيننا وألف بين قلوبنا و اهدنا سبل السلام وأخرجنا من الظلمات إلى النور وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وأزواجنا و ذرياتنا وأموالنا وأوقاتنا واجعلنا مباركين أين ما كنا اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولشيخ الإسلام ابن تيمية ولجميع علماء المسلمين وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

انتهى الشريط الثالث

الشريط الرابع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:
فيقول شيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في وصيته:

وأما ما سألت عنه في أفضل الأعمال بعد الفرائض فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره أن ملازمة ذكر الله دائما هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة وعلى ذلك دل حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم سبق المفردون قالوا يا رسول الله ومن المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وفيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله» والدلائل القرآنية والإيمانية بصرا وخبرا ونظرا على ذلك كثيرة وأقل ذلك أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين صلى الله عليه وسلم كالأذكار الواردة في أول النهار وآخره وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وعند أدبار الصلوات والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد إلى غير ذلك وقد صنفت لهم كتب مسماة بعمل اليوم والليلة ثم ملازمة الذكر مطلقا وأفضله لا إله إلا الله وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله أفضل منه.

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما اللهم اجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا اللهم اهدنا أجمعين إليك صراطا مستقيما وأصلح لنا شأننا كله يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام وبعد أيها الإخوة الكرام يقول الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأما ما سألت عنه الضمير هنا كما هو معلوم عائد إلى السائل أبي القاسم السبتي رحمه الله تعالى الذي طلب من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن يكتب له وصية جامعة وحدد ما أراد من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن يوصيه به وكان ما جملة ما قال السائل: وينبهني على أفضل الأعمال الصالحات بعد الواجبات فهذا شروع من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لبيان هذا الأمر الذي سأل عنه هذا السائل وتأمل رعاك الله في هذا السؤال الذي يدل على عظم مكانة الفرائض في نفوس هؤلاء ومكانتها العلية فقال ينبهني على أفضل الأعمال بعد الواجبات أي أن الواجبات وفرائض الدين لا تفضل عليها الأعمال الأخرى بل هي مقدمة و بها

يبدأ ولا يشتغل بنفل مقدما له على فرض بل يبدأ عناية واهتماما بالفرائض والواجبات ثم بعد ذلك تأتي المستحبات في درجة ثانية بعد الواجبات ومن الخطأ الفادح أن يشتغل إنسان بنفل على حساب فرض وقد قال أهل العلم رحمهم الله تعالى من اشتغل بالنفل على الفرض فهو مغرور ومن اشتغل بالفرض على النفل فهو معذور لأن الفرض هو المطلوب أصالة ويحاسب العبد على تركه ويعاقب على ذلك وأ ما النوافل فإن شأنها أنها تزيد أجر العبد وثوابه عند الله سبحانه وتعالى وإذا فاته شيء منها لا يحاسب ولا يعاقب عليها فهي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها فإذا اشتغل بها الإنسان مقدما لها على فرض من الفرائض وواجب من الواجبات فهذا نوع من الغرور وخطأ فادح فإذا البحث في النوافل مرحلة مرحلة تأتي بعد العناية بالفرائض وما تقرب إلى الله سبحانه وتعالى متقرب بشيء أفضل من الفرائض ولهذا جاء في الحديث الصحيح المعروف عند أهل العلم بحديث الولي إذا أردت أن تعرف من هم الأولياء فاقرأ هذا الحديث خذوها فائدة يا إخوان حتى لا يغتر مغتر ببعض الأدعياء الأدعياء لأنه الولاية هناك من يدعيها ويقول أنا وأنا إلى آخره فهذا الحديث المعروف وهو في صحيح البخاري معروف عند أهل العلم بحديث الولي حديث الولي بمعنى إذا أردت أن تعرف الولي من هو؟ ما حقيقة الولي؟ من هم أولياء الله اقرأ هذا الحديث اقرأ كلام النبي صلوات الله وسلامه عليه يكشف لك ويجلي لك ويبين لك من الأولياء فالحديث اشتهر عند أهل العلم بحديث الولي لأنه يعرف من هو الولي هو حديث قدسي الكلام فيه لله رب العالمين يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعلا قال سبحانه وتعالى في هذا الحديث القدسي من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب كأنه قيل ومن الولي؟ جاء البيان في الحديث من كلام رب العالمين سبحانه وتعالى في هذا الحديث القدسي قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ ني لأعيذنه فالحديث بين من هو الولي بيانا وافيا لا مزيد عليه ففيه أن أولياء الله سبحانه وتعالى على درجتين أولياء الله على درجتين كلهم أولياء لله لكنهم على درجتهم إحدى الدرجتين أعلى من الأخرى الدرجة الأولى في الولاية درجة الأولياء المحافظة على الفرائض المحافظة على فرائض الإسلام واجبات الدين البعد عن المحرمات فإذا كان العبد محافظا على فرائض الإسلام واجبات الدين مبتعدا عن الحرام فهو من أولياء الله سبحانه وتعالى وهي درجة من درجات الولاية وتسمى درجة المقتصدين والله جل وعلا يقول:«ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات» والمقتصد هو الذي يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالواجبات بالفرائض لا يفوت فرضا ولا يرتكب محرما فهذا ولي من أولياء الله سبحانه وتعالى وهو في هذه الدرجة درجة المقتصدين.
والدرجة الثانية في الولاية أرفع من هذه الدرجة وأعلى وهي درجة المقربين وإليها الإشارة في هذا الحديث القدسي بقوله سبحانه وتعالى ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل أي بعد الفرائض بعد المحافظة على الفرائض والواجبات ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني

لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه أي أن الله سبحانه وتعالى يسدده في سمعه وفي بصره وفي يده وفي قدمه فبالله يسمع وبه يبصر وبه يمشي وبه يبطش مؤيدا مسددا معانا موفقا من الله سبحانه وتعالى رب العالمين ودعواهم مستجابات إن سأل الله أعطاه وإن استعاذ بالله أعاذه فأولياء الله سبحانه وتعالى هم هؤلاء وهم كما اتضح في هذا الحديث العظيم على درجتين درجة المقتصدين الذين يحافظون على واجبات الدين ويبتعدون عن المحرمات وأعلى من هؤلاء درجة المقربين وهم الذين يحافظون على الفرائض ويزيدون عليها تسابقا إلى النوافل والرغائب والمستحبات وبهذا الحديث يتبين الإنسان من هم أولياء الله ومن هم الأدعياء لأن الأمة بليت بأناس يدعون لأنفسهم الولاية وأنهم أولياء الله ويتكلمون بذلك ويشيرون إلى أنفسهم بذلك مع أن ولي الله الصادق لا يزكي نفسه لا يقول أنا من أولياء الله الله جل وعلا يقول عن أوليائه:«والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون» عائشة رضي الله عنها سألت النبي عليه الصلاة والسلام عن معنى هذه الآية قالت: يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويقتل ويخاف أن يعذب هل هذا هو معنى قوله يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال: لا يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يقبل عبد الله ابن أبي مليكة من علماء التابعين يقول أدركت أكثر من ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على نفسه والله جل شأنه يقول:«فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى» الشاهد أن الأمة ابتليت بأقوام يدعون أنهم أولياء ويقول لمن حوله ولأتباعه أنا من أولياء الله وربما قال أنا من خاصة أولياء الله أو غير ذلك من الكلام ثم أفعاله جمع فيها بين سوءتين السوءة الأولى ترك الواجبات ترك واجبات الدين وفرائض الإسلام حتى إن بعض هؤلاء الأولياء المزعومين يذكر عنه أنه إذا قامت الصلاة في المسجد يستند على السارية وأتباعه يصلون وهو لا يصلي وإذا قيل له لما لا تصلي قال أنا من أولياء الله سقطت عني التكاليف وربما قال لهم أن الله قال في القرآن:«واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» وأنا وصلت إلى درجة اليقين فلا يصلي وأيضا لا يؤدون العبادات الأخرى مثل الحج والاعتمار و الطواف حتى يقول بعضهم وهذا مسجل في كتب هؤلاء أهل الخرافة والضلال يقولون إن الولي الصادق مقامه أعظم من أن يذهب ويطوف بالبيت يقول مقامه أعظم من أن يذهب ويطوف بالبيت بل البيت هو الذي يأتي إليه ويطوف به وبناءا على هذا التخريف والضلال في بعض كتب الفقه التي انطلت عليها هذه الخرافة عقدوا مسألة فقهية قالوا إذا ذهبت الكعبة تطوف بالأولياء إلى أين يصلي الناس؟ قال صاحب الكتاب للعلماء في هذه المسألة قولان هات القولين قال أما القول الأول فإنهم يصلون إلى جهة الكعبة باعتبار أنها الأصل وأن الناس لا يدرون عن الكعبة في أنحاء الدنيا أنها ذهبت مثلا إلى الهند أو إفريقيا أو غيرها من البلدان لولي من الأولياء قال والقول الآخر من أقوال أهل العلم يتعين على الناس أن يبحثوا عن الكعبة أين ذهبت ويسألون ويتجهون إليها قولان لأهل العلم يقول كلها مبنية على الخرافة والضلال الذي ينطلي على الناس وهذا كله داخل باسم ماذا يا إخوان؟ داخل باسم ماذا ؟ الولاية أولياء عبث بدين الله عبث بفرائض الإسلام وواجبات الدين عبث بما يتقرب إلى الله به من فرائض وصلاة وحج واعتمار وغير ذلك وكله يروج لدى الجهلة والعوام باسم الولاية ويقولون الولي مقامه أعلى من أن يطوف بالبيت والبيت هو الذي يذهب إليه ويطوف به مع أن سيد الأولياء وإمام الأتقياء وخير عباد الله صلوات الله وسلامه عليه

طاف بالبيت نهارا صلوات الله وسلامه عليه أربع مرات اعتمر وحج صلوات الله وسلامه عليه حجة الوداع وطاف بالبيت صلوات الله وسلامه عليه مرارا ثم يدعي هؤلاء الأدعياء أن مقام الولي أعلى من أن يطوف بالبيت فإذا أصبحت الولاية لدى بعض الناس إضاعة للفرائض من جهة هذه سوءة والسوءة الأخرى ارتكاب المحرمات باسم الولاية من جهة أخرى يمارس بعضهم بعض المحرمات باسم الولاية وتفاصيل هذه الأمور عن هؤلاء تدمي القلوب وتؤلم النفوس المؤمنة لكن نقول حسيبهم الله إجرام وإساءة لدين الله تبارك وتعالى يمارس و يرتكب باسم الولاية. فلنترك هؤلاء وضلالهم جانبا ونعيش مع حديث النبي عليه الصلاة والسلام صلوات الله وسلامه عليه حيث بين لنا في هذا الحديث القدسي من هم الأولياء وأن أولياء الله سبحانه وتعالى على درجتين أما الذي يضيع الفرائض ويرتكب المحرمات هذا ليس من أولياء الله لا تكون الولاية بإضاعة الفرائض ولا تكون الولاية بارتكاب المحرمات فإذا هذا الحديث حدد لنا من هم أولياء الله حقا وصدقا هذا السائل الموفق أبو القاسم السبتي رحمه الله طلب من شيخ الإسلام أن يبين له أفضل الأعمال بعد الفرائض بمعنى أنه متقرر أن الفرائض ركائز أسس لابد من المحافظة عليها والبحث عن النوافل يكون بعد ضبط الفرائض لأنها هي الأعمدة التي يقوم عليها بناء الدين كما قال عليه الصلاة والسلام:«بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان» ومثل من يريد أن يعتني بالنوافل وهو مضيع للفرائض مثل رجل يقيم عمارة من ستة طوابق سبعة طوابق أكثر من ذلك ويعتني بالمحسنات والمجملات لكن الأعمدة ليست بشيء يقيمها على غير أعمدة فهذه العمارة التي شيدت وزينت وزخرفت وجملت سرعان ما تنهار لأنها ليست قائمة على أعمدة (والبيت لا يبتنى إلا بأعمدة **ولا عماد إذا لم ترسى أوتاد).

فالفرائض هي أعمدة الدين التي عليها قيام دين الله ولهذا قال عليه الصلاة والسلام والصلاة عماد الدين فإذا هذا السائل الموفق طلب من شيخ الإسلام رحمه الله أن يبين له النوافل التي يستحب للمسلم أن يعتني بها بعد الفرائض ويبين له ما هي أفضل النوافل فأجابه شيخ الإسلام رحمه الله بقوله وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم وهذه إجابة عظيمة ومسددة وذكرها رحمه الله تعالى بهذا الإجمال لأن السائل طلب ذلك طلب الإجمال والاختصار والإماء وفصل رحمه الله هذا المعنى وتوسع فيه في مواضع عديدة من كتبه رحمه الله تعالى وقرر ما أشار إليه هنا إجمالا وهو أن الأمر يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه تجد إنسان أكرمه الله سبحانه وتعالى بحافظة قوية جدا تهيئه فهي عظيمة لحفظ الأحاديث وحفظ الأدلة وحفظ أقوال أهل العلم ولا يمر عليه قول إلا حفظه فهذا مهيأ لشيء وآخر ليس عنده حافظة فهل المطلوب من هذا مثل المطلوب من هذا؟ قدرات مختلفة هذا عنده قدرة على الحفظ وهذا لا قدرة له على الحفظ ولهذا من الخطأ أن يأتي الإنسان لمن يربيهم من نشء وأولاد ولا يراعي جانب القدرات في الأبناء وهذا ملمح أشار إليه أهل العلم ومنهم العلامة ابن القيم رحمه الله في تحفة الودود في أحكام المولود وأشار إلى أن أهل العلم والسلف رحمهم الله يعتنون بهذا الجانب فيجد الإنسان من أبنائه من عنده عناية بالحفظ وذاكرة قوية جدا وآخر لا حافظة عنده ليس

عنده حافظة وليس عنده قدرة على الحفظ إذا مراعاة هذا الجانب الذي أشار إليه اختلاف الناس فيما يقدرون عليه أشخاص عندهم قدرة على الصيام آخر ليس عنده قدرة على الصيام إما أن صحته لا تساعده أو بنيته جسمه لا يساعده على الصيام أو معه بعض الأمراض التي لا تساعده على الصيام فمن الخطأ إذا فتح على الإنسان مثلا في باب الصيام ووقف في هذا الباب أن يحرص على إلزام الآخرين بهذا الباب الذي فتح له به فهذا يفتح له في العلم وهذا يفتح له في الصيام وهذا يفتح له بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يفتح له بالعبادة وكذا كل على خير وكل ميسر لما خلق له ولا يطلب من الإنسان من الأعمال والعبادات ما لا يستطيعه أو لا يقدر عليه أو يشق عليه بل ينظر في ذلك فيما يقدر عليه الإنسان وفيما فتح على ا لإنسان به ذاك فتح عليه في العلم وهذا فتح عليه بالعبادة وهنا أروي لكم قصة مفيدة جدا توضح لنا هذه المسألة أوردها الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في كتابه السير في ترجمة الإمام مالك رحمه الله تعالى وهي أن أحد العباد رجل فتح الله عليه في العبادة صلاة وصيام وقيام ليل وأذكار إلى غير ذلك فكتب إلى الإمام مالك رحمه الله والإمام مالك يعطي طلاب العلم وقته تدريس وإقراء ورواية الحديث فكتب للإمام مالك وصية ذلك العابد كتب للإمام مالك رحمه الله وصية يقول في وصيتيه يحض الإمام مالك على الانفراد والعمل يقول اترك الطلاب واترك التعليم وانفرد بنفسك واشتغل بالعبادة والعمل فكتب للإمام مالك ينصحه بهذه النصيحة هو انفتح عليه هذا الرجل فتح عليه بالعبادة والعمل ورأى هذا الخير العظيم الذي فتح الله سبحانه وتعالى عليه به فكتب ينصح مالك رحمه الله بهذا الذي فتح عليه به فماذا قال له ذلك العالم الجليل الإمام رحمه الله تعالى فكتب إليه مالك ابن أنس إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الجهاد فنشر العلم يقول مالك رحمه الله فنشر العلم من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح لي وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أي يكون كلانا على خير وبر كلام علم وأرجو أي يكون كلانا على خير وبر أنت على خير وبر في عبادتك وطاعتك وتقربك إلى الله وأنا أيضا يقول على خير وبر في نشري للعلم لأن نشر العلم نفعه متعد ونشر العلم يحتاج إلى وقت للتعلم والتفقه والمذاكرة والمدارسة حتى يكون عنده شيء يعلمه الناس فالذي ينشغل بالعبادة ولا يدرك هذه الحقيقة ربما ينزعج من رؤية الكتب بأيدي الطلبة وإقبال الطلبة على الحفظ وعلى القراءة وربما عد ذلك نوعا من ضياع الوقت حتى إن بعض من ابتلوا بشيء من الطرقية يقولون آفة المريد ثلاث وذكروا منها حمل الكتب أتدرون آفة من الآفات أن يحمل بيده كتب الحديث يحفظها ويقرؤها لأنها بزعمهم تعوقهم عن العمل وعن العبادة وهذا من الخطأ الفادح الذي يفتح الله عليه بالعبادة يشتغل بها ويتقرب إلى الله سبحانه وتعالى وهو كما قال الإمام مالك على خير وبر والذي يفتح الله عليه بالعلم أيضا فهذا أيضا ليس بدون ذلك في الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فالشاهد أن هذه أبواب وكل ميسر لما خلق له فكل إنسان فيما يفتح الله عليه وما يتيسر له يجتهد فيه ولا يفوت على نفسه بابا من أبواب الخير فتح الله سبحانه وتعالى عليه به وأيضا من لطيف ما يروى في هذا الباب أن أحد السلف كان في مجلس يعلم الطلاب ويفقههم في الدين وفي الحلال والحرام وهو أحد الأئمة يقال له أبو السوار العدوي فكان في المجلس شاب

وهذا العالم يفقه الناس في الحلال والحرام إلى آخر ذلكم فقاطعه الشاب وقال سبحوا يا إخوان هللوا اذكروا الله في الدرس وقت الدرس وهذا يعلمهم الحلال والحرام والأحكام قال يا إخوان سبحوا هللوا اذكروا الله حريص هو ما قال ذلك عن نية سيئة وعن قصد لكنه رجل فتح الله عليه بالذكر ورأى هؤلاء مشتغلين في الحلال والحرام ولا يدرك قيمة هذا الأمر ومكانته والحاجة الشديدة إليه فقاطعهم قال سبحوا يا إخوان هللوا اذكروا الله فقال له أبو السوار ويحك وما نحن فيه منذ اليوم الذي نحن مشتغلين فيه منذ اليوم ما هو هذا كله ذكر لله ولهذا مجالس الحلال والحرام وقال الله تعالى وقال رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا يجوز وهذا لا يجوز وهذا حلال وهذا حرام هذه كلها مجالس ذكر لله تبارك وتعالى داخلة في قول النبي صلى الله عليه وسلم:«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة؟ قال حلق الذكر» حلق الذكر هي المجالس التي يبين فيها دين الله توضح فيها الأحكام يتفقه الإنسان يعرف الحلال والحرام يعرف الأحكام هذه كلها مجالس ذكر لله تبارك وتعالى قال وما يناسب أوقاته وأيضا هذا ملحظ في معرفة الأفضل من الأعمال ما يناسب الوقت إذا عرفنا أن الصلاة أفضل الأعمال وأن قراءة القرآن مثلا أفضل من الذكر وأن الذكر أفضل من الدعاء هكذا من حيث الإجمال نجد أنه في بعض الأوقات يكون الدعاء أفضل الأوقات التي جاء فيها الدعاء الدعاء فيها أفضل من قراءة القرآن بل إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قراءة القرآن والإنسان ساجد وقال أكثروا من الدعاء فإذا الدعاء والإكثار من الدعاء والعبد ساجد أفضل من تلاوة القرآن مع أنه من حيث الجملة تلاوة القرآن أفضل من الدعاء وأفضل من الذكر لكن قد يكون في وقت المفضول أفضل من الفاضل لأجل الوقت عندك مثلا بعد العصر وقت نهي عن الصلاة فالأفضل بعد العصر أذكار المساء تلاوة القرآن لو أراد الإنسان يقول أريد أن أقوم أصلي لله نافلة يقال له لا ليس وقت صلاة ينهى عن الصلاة إذا صلى العبد العصر إلى المغرب وقت نهي عن الصلاة فإذا مراعاة الوقت أيضا بنبني عليه معرفة الأفضل في باب النوافل ولهذا يقول شيخ الإسلام فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد لكن يمكن أن يعطى قاعدة في هذا الباب متينة أشار إليها شيخ الإسلام رحمه الله وكذلكم أشار إليها وفصلها تلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وهي أن الأفضل في باب النوافل في كل وقت الأوفق للسنة في ذلك الوقت هذه قاعدة الأفضل في كل وقت الأوفق للسنة في ذلك الوقت مثلا بيدك قرآن تقرأه هذه القراءة من أفضل الأعمال أذن المؤذن وأنت تقرأ القرآن هل الأفضل أن تستمر في القراءة أو أنك توقف القراءة وتجيب المؤذن؟ جاء وقت أذكار الصباح أو أذكار المساء أو نحو ذلك إذا الأوفق للسنة هو الأفضل فالأفضل في كل وقت الأوفق للسنة في ذلك الوقت هذه قاعدة شريفة في باب المفاضلة في الأعمال ماهو أفضل الأعمال؟ مثل ما قال شيخ الإسلام قال لا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد لكن الأفضل في كل وقت الأوفق للسنة في ذلك الوقت لكن مما هو كالإجماع يقول بين العلماء بالله وأمره أن ملازمة ذكر الله دائما هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة أولا تأمل قول شيخ الإسلام كالإجماع بين العلماء بالله وبأمر الله وقد نقل رحمه الله في مواضع عديدة من كتبه عن أحد أئمة السلف وهو أبو حيان التيمي رحمه الله أنه قال العلماء ثلاثة عالم بالله ليس عالما بأمر الله وعالم بأمر الله ليس عالما بالله وعالم بالله عالم بأمر الله قال والعالم بالله الذي يخاف

الله يعظم الله يخشى الله إنما يخشى الله من عباده العلماء والعالم بأمر الله الذي يعرف الحلال والحرام والأحكام فهنا يقول رحمه الله تعالى كالإجماع بين العلماء بالله وأمر الله كالإجماع بين العلماء بالله أي الذي يخافون الله ويخشونه ويعظمونه سبحانه وتعالى وبأمره أي الذين يعرفون الأمر والنهي والحلال والحرام والأحكام أن ملازمة ذكر الله دائما هو أفضل ما شغل العبد به نفسه بالجملة فذكر الله سبحانه وتعالى هو مقصود الأعمال شرعت الصلاة لأجله وشرع الحج لأجله وشرعت أنواع الطاعات وصنوف الأعمال لأجله لإقامة ذكر الله سبحانه وتعالى إذا في الجملة أفضل الأعمال ذكر الله سبحانه وتعالى وهو أفضل ما شغلت فيه الأوقات وأمضيت فيه الأنفاس ذكر الله سبحانه وتعالى وساق على ذلكم دليلين قال وعلى ذلك دل حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم سبق المفردون قالوا يا رسول ومن المفردون؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات فهذا يدل على سبق الذاكرين والحديث كأنه يبين أن أهل الأعمال الصالحات في مضمار سباق قال سبق المفردون قالوا ومن هم؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات فأهل العبادة والطاعة والقربات إلى الله كأنهم في مضمار سباق أسبقهم في هذا المضمار من هم قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات قال وفيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم انظر هذا التشبيه العظيم من هذا الناصح صلوات الله وسلامه عليه بهذه المقدمات ألا أنبئكم بكذا وكذا شوق القلوب شوقا عظيما إلى هذا الأمر ولهذا الصحابة رضي الله عنهم قالوا بلى يا رسول الله أي نبئنا بهذا الأمر الذي هو خير الأعمال وأزكاها عند الله سبحانه وتعالى وأرفعها في الدرجات وخير من إعطاء الذهب والورق يعني الفضة وخير من أن يلقى الإنسان العدو فيضرب أعناق العدو أو يضربوا عنقه فيموت في سبيل الله تبارك وتعالى قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله هذا يدل على فضل الذكر كما قال شيخ الإسلام من حيث الجملة وأن ذكر الله سبحانه وتعالى أفضل الأعمال من حيث الجملة وأنه أفضل ما شغل فبه الأوقات وأمضيت فيه الأوقات وهو الذي شرعت لأجله الطاعات والعبادات وأفضل أهل كل طاعة أكثرهم فيها ذكرا لله هذه قاعدة أيضا شريفة في باب العبادات عظيمة جدا أفضل أهل كل طاعة أكثرهم فيها ذكرا لله وفي هذا حديث يرفع إلى النبي عليه الصلاة والسلام قيل يا رسول الله أي الصائمين أعظم أجرا قال أكثرهم لله ذكرا قيل أي العمار أكثر أجرا قال أكثرهم لله ذكرا وذكر له أنواع من العبادات في كل ذلكم يقول أكثرهم لله ذكرا أورده ابن القيم رحمه الله في كتابه الوابل الصيب واستخلص منه قاعدة وهي أن أفضل أهل كل طاعة أكثرهم فيها ذكرا لله أفضل الصوام أكثرهم لله ذكرا في صومهم أفضل الحجاج أكثرهم ذكرا لله في حجهم أفضل المصلين أكثرهم لله ذكرا في صلاتهم وهكذا قال رحمه الله تعالى والدلائل القرآنية والإيمانية بصرا وخبرا ونظرا على ذلك كثيرة على أن الذكر هو أفضل الأعمال الدلائل القرآنية في القرآن أدلة كثيرة جدا تدل على فضل الذكر وعظيم ثواب أهله عند الله سبحانه وتعالى كقوله جل وعلا:«يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور» وقوله:«والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما» والآيات في هذا المعنى في

كتاب الله تبارك وتعالى كثيرة قال والإيمانية الدلائل الإيمانية أي شواهد الإيمان التي تقوم في القلوب ويبصرها أهل الإيمان ويعاينونها ويشاهدونها ولهذا نوع قال بصرا وخبرا ونظرا أي فيما يشاهده أهل الإيمان وأيضا في الأخبار التي تنقل لهم الأخبار التي تنقل في فضل الذكر وعظيم عائدته تجد أخبار عظيمة جليلة تنقل تدل دلائل واضحة على فضل الذكر وعظيم أثره وكبير فائدته وعظيم عوائده على الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ونظرا أي ما يقوم في البصائر والقلوب من معاينة ومشاهدة لمكانة الذكر وعظيم منزلته ورفيع درجته قال بصرا وخبرا ونظرا على ذلك كثيرة أي على فضل الذكر وتقدمه وعلو منزلته ثم أخذ يبين رحمه الله تعالى القدر الذي يكون به العبد من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات الذين يفوزون بهذه الأجور والله يقول كما مر معنا والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما فيقول رحمه الله وأقل ذلك يعني أقل حظ وقدر من الذكر يأتي به العبد ليكون من هؤلاء الذين هم من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات أقل ذلك أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين هنا أيضا لفتة تحتاج إلى وقفة لا تطول قال عن معلم الخير وإمام المتقين الناس الآن مبتلين يا إخوان الناس الآن في زماننا مبتلين بكتب بأيديهم فيها أذكار وأدعية ليست منقولة عن معلم الخير صلوات الله وسلامه عليه ولا عن إمام المتقين صلوات الله وسلامه عليه وإنما أذكار وأدعية تكلفها المتكلفون وأنشأها المخترعون وقتوا لها أوقاتا و هيئوا لها أوصافا وتراها بكثرة بأيدي الناس وليست مبنية على ما صح عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وبعضها فيها من الغلو وفيها من الخرافة وفيها من الضلال ما الله سبحانه وتعالى به عليم فينبه شيخ الإسلام على أن المسلم إذا أراد أن يكون من أهل الذكر لله حقا وصدقا عليه بالأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم معلم الخير إمام المتقين إمام الذاكرين صلوات الله وسلامه وبركاته عليه قال كالأذكار المؤقتة لأن الأذكار المأثورة عنه أذكار مؤقتة وأذكار مطلقة الأذكار المؤقتة قال في أول النهار مثلا وآخره وهي ما يعرف بأذكار الصباح والمساء وعند أخذ المضجع والنبي عليه الصلاة والسلام جاء عنه أذكار عديدة يشرع للمسلم أن يقولها إذا أوى إلى مضجعه أذكار عظيمة جدا فيها من الخير والنفع والفائدة وقوة الإيمان وسلامة الفطرة وحسن الإقبال على الله سبحانه وتعالى والخاتمة الطيبة والنوم الهنيء ثمار لا حد لها ولا عد لمن يكرمه الله سبحانه وتعالى بالمحافظة على الأذكار المأثورة عن النبي صلوات الله وسلامه عليه عندما يأوي المرء إلى فراشه وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام يعني إذا قام من النوم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أذكار وأدعية في بعضها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن من قام من نومه وأتى بها و دعى أستجيب دعاؤه لا يرد له دعاؤه وكم نفوت على أنفسنا من خيرات كم نفوت على أنفسنا من غنائم وأرباح وخيرات عظام مأثورة عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه قال وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات أي المكتوبات وهناك أذكار مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بها دبر كل صلاة مكتوبة أي خمس مرات في اليوم والليلة قال والأذكار المقيدة معروف على قوله الأذكار المؤقتة والأذكار المقيدة أي المقيدة بشيء معين تلك مؤقتة يعني بوقت معين وهذه مقيدة بأمر معين قال مثل ما يقال عند الأكل والشرب من التسمية في أوله والحمد في تمامه وعند اللباس وعند الجماع وعند دخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك أي عند الخروج من المنزل والمسجد

والخلاء وعند المطر وعند الرعي إلى غير ذلكم أي من الأذكار المقيدة والمؤقتة ثم ملازمة الذكر مطلقا هناك أذكار مطلقة ليست مقيدة بوقت وأفضله يعني أفضل الذكر المطلق لا إله إلا الله وقد صح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:«أفضل الذكر لا إله إلا الله» وجاءت عنه أحاديث كثيرة صلوات الله وسلامه عليه في فضل الذكر بهذه الكلمة العظيمة كلمة لا إله إلا الله التي هي أعظم الكلمات على الإطلاق وأجلها على الإطلاق وهي كلمة التوحيد وكلمة الشهادة وكلمة الإخلاص وهي مفتاح الجنة وأساس السعادة في الدنيا والآخرة قال وأفضله لا إله إلا الله و لا إله إلا الله كما عرفنا هي كلمة التوحيد فلا توحيد إلا بهذه الكلمة وهي قائمة على النفي والإثبات لا إله إلا الله لا إله نفي للعبودية عن كل ما سوى الله إلا الله إثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده فمعنى لا إله إلا الله إخلاص الدين لله إفراد الله سبحانه وتعالى وحده بالذل والخضوع والخوف والرجاء والحب والعبادة كما قال الله سبحانه وتعالى:« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » وكما قال جل وعلا:« ألا لله الدين الخالص » وكما قال جل وعلا:« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » وكما قال جل وعلا:« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » هذا هو معنى لا إله إلا الله ولا إله إلا الله ليست نافعة لقائلها إذا لم يفهم معناها ويحقق مدلولها وهي تدل على الإخلاص وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة قال وأفضله لا إله إلا الله وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله أفضل منه أفضل أي من لا إله إلا الله يعني مثلا إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر ما الأفضل أن تقول؟ أن تقول الله أكبر الله أكبر فهي هنا أفضل من أن تقول لا إله إلا الله مع أن لا إله إلا الله أفضل الذكر فقد تعرض أحوال يكون فيها التسبيح والتحميد والتكبير أفضل مثل لو قال إنسان والعياذ بالله في حق الله قول باطل ما الأفضل في هذا المقام سبحان الله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين إذا كان المقام مقام تنزيه فالأفضل أن تسبح الله إذا جئنا مثلا إلى الحديث قال:« إن الله ليرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها » الحمد هنا أفضل إذا أكل الإنسان أكلة الحمد هنا أفضل إذا قد تعرض أحوال تكون هذه الكلمات التي هي دون لا إله إلا الله في الفضل أفضل في تلك الحال العارضة من قول لا إله إلا الله وهذا فيه تأكيد للقاعدة السابقة التي أشار إليها شيخ الإسلام رحمه الله ثم إن هذه الكلمات الأربع لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر هي أفضل الكلمات وأحبها إلى الله سبحانه وتعالى وفضائلها كثيرة جدا وقد ثبت في الصحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال:« أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:« لئن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » وقريبا مر معنا كلام شيخ الإسلام عن الإكثار من الحسنات وفي كلامه على قول النبي عليه الصلاة والسلام أتبع السيئة الحسنة تمحها ومر معنا قول الله تعالى:« إن الحسنات يذهبن السيئات » حسنة التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل أعظم الحسنات ولها أثر عجيب جدا في تكفير الذنوب والنبي عليه الصلاة والسلام وضح هذا الأمر في مثال عجيب والحديث في سنن الترميذي وهو ثابت

ضرب مثالا عجيبا جدا يوضح أثر هذه الكلمات الأربع في تكفير الذنوب وإذهاب السيئات جاء في سنن الترميذي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه يوما فمروا بشجرة يابسة شجرة لها ورق و يابسة وكان بيده عليه الصلاة والسلام عصا فضرب الشجرة اليابسة بالعصا التي بيده فأخذ الورق اليابس يتساقط أمام أعين الصحابة رضي الله عنهم من هذه الشجرة أخذ يتساقط الورق والصحابة ينظرون إلى الورق يتساقط فقال عليه الصلاة والسلام إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لتساقط ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة والصحابة ينظرون إلى الشجرة والورق يتساقط منها وإذا أردت أن تعاين إذا رأيت يوما شجرة يابسة اضربها بالعصا وانظر كيف يتساقط الورق لاسيما إذا كانت يابسة تماما اضرب وانظر كم يتساقط منها من ورق وأنا لا أدعو إلى ضرب الأشجار والأوراق ولكن أدعو إلى الإكثار من الذكر سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبرلكنني أستحضر معكم في هذا المجلس هذا المثل العجيب الذي ضربه الناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه حثا لنا بهذه الكلمات العظيمة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وبيان الأثر العظيم الذي لهذه الكلمات في تكفير الذنوب وفي حديث لأبي ذر في مسند الإمام أحمد ذكر له النبي عليه الصلاة والسلام المعنى نفسه أتبع السيئة الحسنة تمحها قال أبو ذر يا رسول الله أفمن الحسنات لا إله إلا الله لما قال له أتبع السيئة الحسنة تمحها قال أفمن الحسنات لا إله إلا الله قال هي أحسن الحسنات والمقام مقام تكفير السيئات فلا إله إلا الله هي أحسن الحسنات وهذه الكلمات الأربع هي أفضل ما شغل الإنسان به وقته وهي أحب الكلام إلى الله سبحانه وتعالى وأضاف إليها كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها من كنز تحت العرش وقال عليه الصلاة والسلام:« أكثروا من قول لا حول ولا قوة بالله » وهذه الكلمة كلمة عظيمة جدا في باب طلب العون فهي كلمة استعانة كلمة تطلب بقولها من ربك أن يعينك أن يمدك ويؤتى بها بين يدي الأعمال العظام وما يقوم به الإنسان من مصالح دينية ودنيوية ولهذا شرع للمسلم إذا خرج من بيته في كل مرة لمصلحة دينية أو دنيوية أن يقول باسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله فإذا قالها قيل له هديت وكفيت ووقيت.

قال رحمه الله تعالى:

ثم يعلم أن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضا من أفضل ذكر الله وعلى ذلك إذا تدبرت لم تجد بين الأولين في كلماتهم في أفضل الأعمال كبير اختلاف. نعم

ثم بين رحمه الله تعالى أن العناية بالعلم الشرعي والتفقه في دين الله ومعرفة الحلال والحرام والأحكام وأيضا العناية بالفقه الأكبر الذي هو معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وما يجب نحوه من افتقار وإيمان وكذلكم ما يتعلق بأصول الإيمان في الحديث قال عليه الصلاة والسلام لما سأله جبريل عن الإيمان قال:« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » اشتغال العبد بالتفقه والتعلم ومعرفة هذه الأصول والأركان والواجبات التي افترضها الله عليه ومعرفة الحلال والحرام والأحكام هذا

كله داخل في الذكر وهو من جملة ذكر الله سبحانه وتعالى قال ثم يعلم أن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بالمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله إذا ذكر الله سبحانه وتعالى ليس منحصرا في مفهومه العام بالتسبيح والتهليل والتحميد ونحو ذلكم من الأذكار بل يشمل ذكر الله عز وجل بمعرفة أسمائه وصفاته ذكر الله سبحانه وتعالى بالتفقه في دينه ذكر الله سبحانه وتعالى بمعرفة الحلال والحرام والأحكام وقريبا مر معنا قصة أبي السوار العدوي رحمه الله لما أحد الطلاب في مجلسه أو الشباب في مجلسه قال اذكروا الله قال نحن في ماذا منذ اليوم أي أن هذه المجالس مجالس الحلال والحرام والأحكام هي من إقامة الذكر لله سبحانه وتعالى قال ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد آداء الفرائض أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها مثل قول الله سبحانه وتعالى:«فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين» و مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام:« من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » فقوله رحمه الله الذي سماه الله فقها أي تفقها في دين الله ودين الله سبحانه وتعالى يشمل العقائد ويشمل العبادات ويشمل كمال الدين بحسن التقرب إلى الله سبحانه وتعالى كما هو موضح هذا المعنى في حديث جبريل المشهور لما ذكر الإسلام عليه الصلاة والسلام معرفا له ثم ذكر الإيمان عليه الصلاة والسلام معرفا له ثم ذكر الإحسان معرفا له ثم قال في تمام الحديث هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم فالعقيدة والعبادة كلها الفقه فيها من الفقه في دين الله سبحانه وتعالى قال فهذا أيضا من أفضل ذكر الله وعلى ذلك إذا تدبرت لم تجد بين الأولين في كلماتهم في أفضل الأعمال كبير اختلاف يعني إذا نظرت في أقوال أهل العلم في ما هو الأفضل بعد النوافل تجد أنه اختلاف في ذلكم اختلاف تنوع يعني كل يشير أو يجيب سائله بما يتناسب مع حاله يأتيه سائل ويقول ما الأفضل يقول اطلب العلم لأنه يرى فيه همة مثلا في الطلب إلى آخر ذلك يجد آخر مجالا آخر فيرشده إليه ويقول الأفضل لك كذا إذا ليس بينهم خلاف لأنهم راعوا مثل هذا التقعيد الذي أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ثم إنني أيها الإخوة الكرام أختم هذا المجلس ببشارة أبشركم بها وهي إن كان صاحب البشارة لا يرضى ذلك مني لكن طالما أنه لا يعرف ولا يدري من هو أسوق لكم هذه البشارة التي ذكرها لي وأدخل على قلبي قبل الدرس سرورا عظيما وأدخله أيضا على قلوبكم جميعا يقول لما انتهينا من الدرس بالأمس ووقفت على كلام شيخ الإسلام في جماع الخير في باب الأخلاق والآداب وأن جماع الخير في كظم الغيظ والعفو عن الناس يقول خرجت من الدرس وأنا في نفسي أشياء كثيرة على أناس ظلموني يقول حاولت مع نفسي أن أعفو عنهم فما استطعت وجاهدت نفسي أن أعفو عنهم فما استطعت حاولت ذلك لم أستطع يقول وأنا أصر إلا أن أعفو عنهم لكن ما استطعت يقول فقمت الليل وصليت في آخر الليل ما كتب الله سبحانه وتعالى لي من صلاة ودعوت الله جل وعلا واستجاب لي بذلك وعفوت عنهم.

انتهى الشريط الرابع

الشريط الخامس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في وصيته:

وما اشتبه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة فما ندم من استخار الله تعالى وليكثر من ذلك ومن الدعاء فإنه مفتاح كل خير ولا يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي وليتحر الأوقات الفاضلة كآخر الليل وأدبار الصلوات وعند الآذان ووقت نزول المطر ونحو ذلك.

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

يبين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في هذا الموضع أهمية الاستخارة وعظم شأنها وكبر عائداتها وشدة حاجة العبد إليها وهي منة الله سبحانه وتعالى على أمة الإسلام أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه عوضا وكرامة من الله سبحانه وتعالى لهم عما كان عليه أهل الجاهلية من الاستقسام بالأزلام والتشاؤم بالطيور وزجرها فإذا أراد الواحد منهم سفرا أو زواجا أو تجارة أو غير ذلكم زجر الطير ثم بنى على زجره لها إما الإقدام أو الإحجام فأكرم الله عز وجل أمة الإسلام أمة محمد عليه الصلاة والسلام بالعافية والسلامة من هذه الأباطيل وعوضهم بهذه الاستخارة العظيمة عندما يشتبه على المسلم أمر من الأمور لا يتبين له فيه المصلحة من المفسدة أو الإقدام من الإحجام أو الفعل من الترك فيكون الأمر مشتبها عليه في مثل هذه الحال تشرع الاستخارة ولهذا قال رحمه الله وما اشتبه أمره على العبد أما الأمور الواضحات لا استخارة فيها واجبات الدين وفرائض الإسلام والمحرمات هذه كلها لا استخارة فيها يجب على الإنسان أن يبادر ويسارع إلى الفرائض والواجبات وكذلكم يجب عليه البعد واجتناب المحرمات والآثام فالواجب والمحرم والأمور الواضحة البينة ليس فيها استخارة لكن إذا اشتبه على الإنسان عمل من الأعمال أو تجارة من التجارات أو نحو ذلكم أو مصلحة من المصالح وتحرى في ذلكم وتفقه وتبصر ففي مثل هذه الحالة حالة اشتباه الأمر تشرع الاستخارة قال وما اشتبه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة قوله رحمه الله بالاستخارة المشروعة فيه التحذير مما قد يوجد من ألفاظ بدعية أو طرائق محدثة لا أصل لها في شرع الله تبارك وتعالى تصنع أو تفعل عندما يشتبه على الإنسان أمر من الأمور أو لا يترجح عنده شيء فكل أمر لا أصل له في الشرع الواجب على العبد أن يحذر منه وفي شرع الله سبحانه وتعالى غنية وكفاية قال فعليه بالاستخارة المشروعة قال فما ندم من استخار الله أي لم يكن من أهل الندامة من طلب من الله سبحانه وتعالى الخيرة ولجأ إلى الله سبحانه وتعالى مؤمنا بعلم الله الذي وسع كل شيء وقدرة الله سبحانه وتعالى التي شملت كل شيء وأن الأمر بيده وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ففوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى طالبا منه الخيرة لا يندم لا يندم من يستخير الله سبحانه وتعالى ويستشير أهل الفضل والنبل والعلم والدراية ولهذا يقال ما ندم من استخار وما خاب من استشار ففي مثل هذه المقامات يحتاج العبد إلى هذين الأمرين معا استخارة الله عز وجل في طلب الخيرة منه جل وعلا واستشارة أهل الرأي والعلم والدراية والفهم فإن المستخير لا يندم والمستشير لأهل الدراية والبصيرة لا يخيب بإذن الله تبارك وتعالى لأن الله عز وجل حث عباده على الشورى والتشاور ولاسيما في الأمور التي تشتبه على الإنسان وسيأتي حديث لاحق لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى مرة ثانية عن الاستخارة وأهميتها وحاجة العبد إليها عندما تكلم رحمه الله تعالى عن المكاسب والاستخارة ورد فيها حديث صحيح خرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وهذا أيضا فيه تنبيه إلى أهمية حفظ ألفاظ الاستخارة كما جاءت لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعلمهم الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن الذي يخطئ في حرف

أو في كلمة من سورة من سور القرآن يصحح له فكذلكم ألفاظ الاستخارة كان عليه الصلاة والسلام يعلمها أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم كما يعلمهم السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ولو كانت تحية المسجد أو النوافل الراتبة القبلية أو البعدية للصلوات أو أنشأ صلاة نافلة للاستخارة المهم أن تكون من غير الفريضة يصلي ركعتين من غير الفريضة التي كتبها الله سبحانه وتعالى عليه ولم يرد في طرق الحديث ورواياته تعيين قراءة لكل ركعة من هاتين الركعتين فيقرأ ما تيسر من القرآن الكريم قال ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمكم وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ويسمي الأمر الذي استخار لأجله زواجا تجارة سفرا إلى غير ذلك اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري و آجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري و آجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر الخير حيث كان ثم رضني به قال ويسمي حاجته مثل ما أشرت زواجا أو تجارة أو سفرا أو غير ذلك والاستخارة شأنها عظيم وعائدتها على عبد الله المؤمن عظيمة جدا فإن من يستخير الله مفوضا أمره إلى الله طالبا مدده وعونه وتوفيقه وتسديده من الله فإنه لا يندم ولا يخيب بإذن الله تبارك وتعالى قال وليكثر من ذلك ومن الدعاء وليكثر من ذلك يعني كل ما عن له أمر اشتبه عليه لم تتبين له الحال فيه فليستخير الله سبحانه وتعالى وليكثر من الدعاء يعني دوما يسأل الله تبارك وتعالى الهداية التوفيق السداد صلاح الدين صلاح الدنيا صلاح الآخرة صلاح شأنه كله يكثر من الدعاء لأن الدعاء كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله مفتاح كل خير قال وليكثر من ذلك ومن الدعاء فإنه أي الدعاء مفتاح كل خير لماذا كان الدعاء مفتاح كل خير؟ تأمل كلمة عظيمة تجلي هذا الأمر للإمام مطرف بن عبد الله بن الشخير أحد أئمة التابعين رواه عنه الإمام أحمد رحمه الله في كتابه الزهد قال رحمه الله تذكرت ما جماع الخير فإذا الخير كثير الصلاة والصوم وإذا هو في يد الله عز وجل يعني لا تستطيع أن تصلي إلا إذا أعانك الله لا تستطيع أن تصوم إلا إذا أعانك الله لا تستطيع أن تقوم بشيء من أبواب البر وأنواع الطاعات إلا إذا أعانك الله سبحانه وتعالى قال فإذا الخير كثير الصوم والصلاة وإذا هو في يد الله عز وجل وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله عز وجل إلا أن تسأله فيعطيك فإذا جماع الخير الدعاء ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فإنه مفتاح كل خير فأي خير تريده لنفسك؟ في دينك في دنياك في أخراك فعليك بهذا المفتاح وهو الدعاء اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى سؤال الله الذي بيده جل شأنه أزمة الأمور بيده الخفض والرفع والقبض والبسط والعطاء والمنع العز والذل والحياة والموت كل شيء بيد الله والهداية والضلال كل شيء بيد الله سبحانه وتعالى ولا يمكن أن تظفر بشيء من الخير إلا إذا يسره الله لك ولمطرف رحمه الله كلمة أخرى في المعنى نفسه عجيبة قال فيها رحمه الله لو أن قلبي أخرج ووضع في شمالي وجيء بالخيرات كلها ووضعت في يميني لم أستطع أن أولج شيئا منها في قلبي إلا أن يكون الله هو الذي يضعه الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى هو المعطي المانع الخافض الرافع القابض الباسط المعز المذل الذي بيده كل شيء سبحانه وتعالى فالدعاء مفتاح كل خير ولهذا ينبغي على المسلم أن يكون دائما يكثر الدعاء ويكثر

السؤال والله سبحانه وتعالى يحب من عبده أن يسأله وإذا ترك العبد السؤال غضب الله عليه ففي الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه وفي الحديث ليس شيء أكرم على الله من الدعاء والدعاء هو العبادة كما قال صلوات الله وسلامه عليه فإذا يستحب للمسلم أن يكثر من الدعاء ومن أعطي الدعاء أعطي الإجابة لأن الله سبحانه وتعالى يقول:«وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء ومن يتأمل في واقعه مع الأمور تمر عليه أشياء مهمة يحتاج إليها في دينه وفي دنياه وفي تقربه إلى الله سبحانه وتعالى ويعرف أنه محتاج إليها وحاجته إليها شديدة ويعرف أن كل الأمور بيد الله لكننا نضعف كثيرا في الدعاء وفي الإلحاح على الله وفي السؤال وفي الطلب قال فإنه مفتاح كل خير ولا يعجل ما معنى لا يعجل؟ قال فيقول قد دعوت فلم يستجب لي قد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل والعجلة أن الإنسان يدعو مرة مرتين ثلاث ثم يقول دعوت فلم يستجب لي وتأمل في دعاء الأبرار في خواتيم سورة آل عمران ذكر الله سبحانه وتعالى إلحاحهم على الله وتكرار السؤال ربنا ربنا ربنا ربنا تكررت سبع مرات ثم قال فاستجاب لهم ربهم أخذ منها أهل العلم أن الملح على الله والمكثر من دعاء الله ومناجاة الله سبحانه وتعالى حري بالإجابة فمن أسباب إجابة الدعاء الإلحاح على الله وإكثار طرق الباب والإكثار من السؤال والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى لا أن يدعو مرة أو مرتين أو ثلاث ثم يقول دعوت فلم يستجب لي قال وليتحر الأوقات الفاضلة كآخر الليل وهذا الوقت الذي أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى هو أحرى أوقات الإجابة الثلث الأخير من الليل ففي الصحيحين وغيرهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:« ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الآخر فيقول من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له من يستغفرني فأغفر له » وهذا وقت شريف للغاية والله جل وعلا يقول:« والمستغفرين بالأسحار » « وبالأسحار هم يستغفرون » وقت شريف للغاية وهو أرجى أوقات الإجابة لكن هذا الوقت الشريف الفاضل الكريم المبارك ضاع عند أكثرنا بسبب السهر الذي بلينا به في هذا الزمان وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن السمر بعد هدأة الليل فلما بلينا بزماننا هذا بكثرة السهر وإطالة السهر إلى الثانية عشرة إلى الواحدة ثم ينام الإنسان كيف يستطيع أن يقوم؟ بل من كانت هذه حاله يقال في شأنه نسأل الله أن يسلم صلاة الفجر تضيع الآن تضيع صلاة الفجر كثيرا حتى عند من هو ينظر إليه بالصلاح أو التدين أو الاستقامة تفوته صلاة الفجر في الأسبوع مرة مرتين ثلاث هذه مصيبة عظيمة جدا وتفريط وإضاعة فهذا الوقت الشريف الفاضل ضاع وأيضا لما جاءت هذه الأجهزة التي أيضا بلينا بها في هذا الزمان يسمر أمامها الناس يشاهدون وينظرون ثم تثقل رؤوسهم عن صلاة الفجر فضلا عن قيام الليل أو الدعاء و اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى في هذا الوقت العظيم الشريف الفاضل وإلا هو وقت أثمن ما يكون ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الآخر يقول من يسألني من يدعوني من يستغفرني وإذا تأمل الإنسان في واقعه يجد أنه حقيقة حرم نفسه من خير عظيم بل أصبح الآن من الناس من هو في هذا الوقت الفاضل الشريف مستمرا في سهره على لهو وباطل حتى في وقت النزول الإلهي حتى في وقت الاستغفار تجده إما على لعب أو على مشهادات محرمة أو على مجالس باطلة أو لهو أو غير ذلك إلى أن يصبح الصبح فيقول شيخ الإسلام رحمه

الله تعالى وليتحر الأوقات الفاضلة وبدأ بآخر الليل قال كآخر الليل بدأ به وقدمه على غيره لأنه أرجى أوقات الإجابة فوقت فاضل وفيه النزول الإلهي وقول الرب سبحانه وتعالى في الحديث لا أسأل عن عبادي أحدا غيري من يسألني من يدعوني من يستغفرني فوقت ثمين للغاية للدعاء وبمناسبة هذا الوقت أتم قصة الأمس الأخ الذي قلت لكم أنه حاول أن يعفو وأن يبيح الذين ظلموه يقول ما استطاع فقمت يقول في ثلث الليل الآخر وأخذت أصلي وأدعو الله سبحانه وتعالى وألح على الله جل شأنه في الدعاء يقول وفجأة وجدت صدري منشرحا تماما للعفو وأخذت في جنح الليل وفي ثلث الليل الآخر أعفو عمن ظلمني فلان وفلان يقول أسميهم بأسمائهم وكثير من الناس يجد إذا أكرمه الله سبحانه وتعالى بالعناية بهذا الوقت والقيام في ذلك الوقت والمناجاة والإلحاح على الله سبحانه وتعالى يرى من الآثار والثمار عجبا وأذكر أحد الأفاضل من الدعاة مشتغلا بالدعوة إلى الله في بلده ودعوته إلى الله كما ذكر لي دعوة فردية يعني يقول دائما لا أدعو إلا شخصا وحده أجده جالس فأجلس معه وأدعوه إلى الإسلام وأسلم عليه عدد كبير جدا يقول في مجلس خاص معه يحدثني يقول أقوم ولله الحمد ساعة في ثلث الليل الآخر أصلي ما كتب الله لي أقرأ ما كتب الله لي ثم أدعو الله وأقول في دعائي اللهم يا رب أخرج على يدي من النار يا رب أخرج على يدي أشخاصا من النار يا رب أنقض على يدي أشخاصا من النار يقول ألح على الله بهذا الأمر ثم يقول لي بهذا اللفظ قال والله سبحانه وتعالى كريم يقول إذا أصبحت يعطيني اثنين يعطيني ثلاثة يعطيني أربعة يقول ما يردني يقول الله كريم ما يردني أبدا أنا أطلب منه في الثلث الأخير يقول إذا أصبحت يقول بدأت يقول فيعطيني اثنين يعطيني ثلاثة يعطيني أربعة يقول ما يردني. قال كآخر الليل وأدبار الصلوات وعند الآذان أدبار الصلوات سأل كما جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أي الدعاء أسمع فقال عليه الصلاة والسلام في جوف الليل وأدبار الصلوات المكتوبة ودبر الصلوات المكتوبة وقت أيضا عظيم للدعاء والأرجح أن المراد بدبر الصلاة فيما يتعلق بالدعاء قبل السلام على ما حققه شيخ الإسلام رحمه الله وغيره من أهل العلم فقبل أن يسلم يدعو الله سبحانه وتعالى بما يتيسر له ولاسيما الدعوات الجوامع المأثورة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام قال وعند الأذان وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:« ثنتان لا تردان الدعاء عند الأذان وتحت المطر» وكذلك بين الأذان والإقامة قال عند الأذان ووقت نزول المطر ونحو ذلك أي نحو ذلك من الأوقات الفاضلة التي ورد في السنة تحري الدعاء فيها مثل الساعة التي في يوم الجمعة ويوم عرفة وغير ذلكم من الأوقات أو الأحوال الفاضلة الشاهد أن المسلم ينبغي عليه أن يكثر من الدعاء وسؤال الله تبارك وتعالى في جميع مصالحه الدينية والدنيوية والأخروية كما في الحديث الجامع وهو في صحيح مسلم:« اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والموت راحة لي من كل شر » لا يمكن أن تصلح دنياك ولا يمكن أن تصلح أخراك ولا يمكن أن يصلح دينك إلا إذا أصلح الله لك ذلك نعم .

قال رحمه الله تعالى:

وأما أرجح المكاسب فالتوكل على الله والثقة بكفايته وحسن الظن به وذلك أنه ينبغي للمهتم بأمر الرزق أن يلجأ فيه إلى الله ويدعوه كما قال سبحانه فيما يؤثر عنه نبيه كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عاري إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم وفيما رواه الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع فإنه إن لم ييسره لم يتيسر » وقد قال الله تعالى في كتابه واسألوا الله من فضله وقال سبحانه:« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » وهذا وإن كان في الجمعة فمعناه قائم في جميع الصلوات ولهذا والله أعلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي يدخل المسجد أن يقول اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج أن يقول اللهم إني أسالك من فضلك وقد قال الخليل صلى الله عليه وسلم:« فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له » وهذا أمر والأمر يقتضي الإيجاب فالاستعانة بالله واللجأ إليه في أمر الرزق وغيره أصل عظيم .

ثم انتقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للإجابة على طلب السائل أبو القاسم السبتي رحمه الله تعالى وكان مما طلب من شيخ الإسلام أن يبين له أرجح المكاسب فأجابه هنا بقوله وأما أرجح المكاسب انظر الإمامة إمامة شيخ الإسلام وجمال النصح والبيان هذا السؤال لو طرح على كثير منا جاء سائل وقائل أريد أن تدلني على أرجح المكاسب وما هي التجارات الآن الرابحة العقار وإلا مثلا البيع في السوق ماهي أرجح المكاسب تجد الذهن مباشرة منصب للتجارة نفسها يقول أن أنصحك بالعقار العقار هو الذي الآن سوقه كذا أو مثلا يقول له أنا أنصحك الآن تتجه إلى الخضرة أو تتجه إلى ... لكن ابن تيمية رحمه الله قال أما أرجح المكاسب فالتوكل على الله هذه إمامة في الدين ونصح ودعوة إلى التوكل على الله والثقة بالله والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى فمثل هذا النصح عندما يسمع من يدخل في تجارة أو يدخل في صناعة أو يدخل في عمل يدخل وهو مستصحبا التوكل على الله بخلاف إذا وجه إلى تجارة ما ولم ينبه على مقام التوكل والتفويض والالتجاء إلى الله يدخل هذا العمل وربما لا يكون التوكل حاضرا عنده ولا يكون مستصحبا له فانظر هذه الإمامة وهذا النصح قال وأما أرجح المكاسب فالتوكل على الله والثقة بكفايته وحسن الظن به .

التوكل على الله أي تفويض الأمر على الله أي في أي عمل تقوم به من عمل ديني أو دنيوي أو تجارة أو عمل أو غير ذلك فأنت بحاجة إلى التوكل ولهذا التوكل عبادة قلبية تصحب المؤمن الصادق في جميع أموره بدون استثناء إذا تريد أن تصلي لابد أن تتوكل على الله الصيام الصدقة البر الإحسان البيع الشراء إلى غير ذلكم كل عمل من أعمالك لابد أن تستصحب فيه التوكل فالتوكل عبادة قلبية تصحب المؤمن في أعماله وأموره كلها الدينية منها والدنيوية قال أما أرجح المكاسب فالتوكل على الله والثقة بكفايته الثقة هي خلاصة التوكل ولب التوكل ولا تكون الثقة إلا بالله سبحانه وتعالى بحيث يلجأ العبد في أموره الدينية أو الدنيوية لجوءا كاملا إلى الله سبحانه وتعالى ثقة به جل وعلا أن يوفقه وأن يسدده أن يعينه أن يلهمه الصواب أن يجنبه الزلل فالثقة لا تكون إلا بالله ولهذا من الأخطاء الشائعة في زماننا الدعوة إلى الثقة بالنفس ولهذا تجد بعضهم يخاطب بعضا يقول ليكن عندك ثقة بنفسك أو مثلا يلومه في شيء يقول أنت ما عندك ثقة بنفسك كيف يثق الإنسان

بنفسه وفي الدعاء المأثور عن نبينا عليه الصلاة والسلام اللهم رحمة أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت هذه دعوة ثابتة تقال في الكرب فكيف تكون الثقة بالنفس وأنت في دعائك تقول اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين فالثقة بالله ليست بالنفس نعم العبد يبذل السبب المشروع المباح لكن لا تكون ثقته لا بنفسه ولا بالسبب الذي بذله وإنما تكون ثقته بربه سبحانه وتعالى أن يوفقه أن يسدده أن يلهمه الصواب ولهذا قال رحمه الله فالتوكل على الله والثقة بكفايته والله جل وعلا يقول:« أليس الله بكاف عبده » ويقول:« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » أي كافيه قال والثقة بكفايته وحسن الظن به وفي الحديث يقول الله سبحانه وتعالى:« أنا عند ظن عبدي بي » فينبغي على الإنسان إذا دخل في أعمال أو في مصالح وأمور نافعة أن يحسن الظن بالله أن يسدده وأن يعينه وأن يوفقه وألا يستولي عليه يأس أو قنوط أو نحو ذلك قال وذلك أنه ينبغي للمهتم بأمر الرزق أن يلجأ فيه إلى الله ويدعوه يلجأ فيه إلى الله أي في تحصيل الرزق واكتسابه إلى الله بأن يوفقه الله سبحانه وتعالى وسيأتي معنا قول الله:« فابتغوا عند الله الرزق » ويقول جل وعلا:« وفي السماء رزقكم وما توعدون » فالرزق بيد الله ومن أسمائه جل شأنه الرزاق أي الذي بيده الرزق فيلجأ إلى الله فيه ويدعوه أي يدعو الله سبحانه وتعالى أن يرزقه ومن أفضل أوقات الدعاء دعاء الله سبحانه وتعالى بالرزق الطيب الصباح الباكر بعد صلاة الفجر وقد ثبت في السنن عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه كل يوم يقول بعد صلاة الصبح بعد أن يسلم:« اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا » يدعو بهذه الثلاث دعوات يوميا بعد صلاة الصبح لماذا؟ لأن الصبح هو باكورة اليوم وفي الحديث الآخر قال:« بورك لأمتي في بكورها » فهو وقت مبارك ووقت قسم الأرزاق وحلول البركات ومن وفقه الله سبحانه وتعالى للإمساك بزمام اليوم وزمام اليوم هو الصباح الباكر لجؤا إلى الله ودعاءا وسؤالا وذكرا لله سبحانه وتعالى فإن هذا من أمارات وعلامات التوفيق والتيسير في يومه علما وعملا ورزقا ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يدعو كل يوم إذا أصبح بهذه الدعوات الثلاث وإذا تأملت أيها المؤمن الموفق في هذه الدعوات الثلاث تجد أنها هي أهداف المسلم في يومه لو قيل لك ماهي أهداف المسلم في يومه؟ تأمل معي هل تجد له هدفا زائدا على هذه الأهداف الثلاثة جمعت أهداف المسلم كلها جمعت أهدافه كلها في يومه المسلم ليس له في يومه إلا ثلاثة أهداف علم نافع ورزق طيب وعمل متقبل فأول ما يصبح المسلم ويبدأ اليوم يستحضر هذه الأهداف أهدافه في يومه ثم يطلب من الله جل شأنه أن يعينه على تحقيق هذه الأهداف وتحقيق هذه المطالب والمقاصد التي يريدها أن تتحقق له في يومه فيبدأ يومه بالسؤال اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا ثم كما قال أهل العلم يتبع الدعاء ببذل السبب وهكذا الشأن في جميع الأدعية المطلوب من المسلم إذا دعى الله سبحانه وتعالى بحاجة من الحاجات أن يتبع الدعاء ببذل السبب فيما طلبه من حاجة دينية أو دنيوية ولهذا لو أن إنسانا أصبح و دعى بهذه الدعوة اللهم إني أسألك علما نافعا وبعدما دعى بهذه الدعوة مباشرة سحب الوسادة ونام إلى الظهر ما يأتيه العلم في فراشه لكن يقول اللهم إني أسألك علما نافعا ثم يمسك كتاب الله ويبدأ يحفظ أو يذهب إلى حلقة علم أو يستمع يقرأ كتابا أو غير ذلك يبذل السبب فيمن الله سبحانه وتعالى عليه بالعلم أيضا أبواب الرزق يسأل الله الرزق الطيب ثم يمشي سعيا

في طلب الرزق فيهيأ الله سبحانه وتعالى له من أبواب البر والرزق والتوفيق فيجمع بين الأمرين الذين ذكرهما النبي عليه الصلاة والسلام بقوله:« احرص على ما ينفعك واستعن بالله » الشاهد أن المسلم في هذا المقام كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عليه أن يدعو الله ويكثر من الدعاء كما قال سبحانه وتعالى فيما يأثر عنه نبيه أي في الحديث القدسي:« يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم » أي أطلبوا مني الطعام والشراب والكسوة والغذاء وغير ذلكم كل ذلكم يطلب من الله سبحانه وتعالى قال وفيما رواه الترميذي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله يعني لو انقطع شسع النعل وسير النعل فليسأل الله سبحانه وتعالى أن ييسر الله سبحانه وتعالى صلاحه حتى شسع نعله إذا انقطع فإنه إن لم ييسره الله لم يتيسر لأن التيسير بيد الله سبحانه وتعالى وفي الدعاء:« اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا ماشئت سهلا » قال وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه واسألوا الله من فضله وقوله من فضله يتناول الفضل الديني والفضل الدنيوي فجميع حاجات الإنسان الدينية والدنيوية وجميع مطالبه يسألها من الرب العظيم الذي بيده جل شأنه كل شيء قال واسألوا الله من فضله وقال:« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » لاحظ جاء بالآية الأولى فيها السؤال وجاء بالآية الثانية فيها بذل السبب وكأنه رحمه الله ينبه بذلك أن تجمع بين الأمرين السؤال وبذل السبب تجمع بين الأمرين سؤال الله سبحانه وتعالى من فضله كما تدل عليه الآية الكريمة واسألوا الله من فضله ثم تتبع الدعاء والسؤال ببذل السبب كما يدل عليه قوله:« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » يعني ابذلوا الأسباب « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » لا أن يبقى الإنسان في مكانه ولا يبذل السبب في الحديث قال عليه الصلاة والسلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا الطير تبذل السبب لا تبقى في عشها فالطير إذا أصبحت جائعة تغدو وتذهب المسافات الطويلة تبحث عن الطعام وتبحث عن الشراب وترجع قال لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أي تذهب جائعة وترجع شبعة بمعنى أن الإنسان من تمام توكله على الله سبحانه وتعالى أن يبذل السبب كما أمره الله سبحانه وتعالى بذلك قال وهذا وإن كان في الجمعة فمعناه قائم في جميع الصلوات بمعنى أن الإنسان يسأل الله سبحانه وتعالى من فضله ثم يبحث عن أبواب الرزق وما ييسره الله سبحانه وتعالى له من ذلك يقول شيخ الإسلام ولهذا والله أعلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي يدخل المسجد أن يقول اللهم افتح لي أبواب رحمتك لأنه داخل للمسجد للصلاة والعبادة والذكر لينال بذلك رحمة الله سبحانه وتعالى وأمر الذي يخرج من المسجد أن يقول اللهم إني أسألك من فضلك فإذا خرج الإنسان من المسجد أمامه أبواب من أبواب الرزق فيسأل الله سبحانه وتعالى من فضله أن ييسر له جل شأنه الرزق الطيب قال وإذا خرج أن يقول اللهم إني أسألك من فضلك وقد قال الخليل صلى الله عليه وسلم أي إبراهيم عليه السلام فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون فابتغوا عند الله الرزق أي عنده لا عند غيره سبحانه وتعالى باللجوء إليه وحده وبسؤاله وحده والالتجاء إليه سبحانه وتعالى وحده قال وهذا أمر يعني في قوله فابتغوا عند الله الرزق

والأمر يقتضي الإيجاب فالاستعانة بالله واللجوء إليه في أمر الرزق وغيره أصل عظيم بمعنى أنه يجب على المسلم أن يكون لجوءه في طلبه للرزق وحاجاته ومصالحه إلى الله سبحانه وتعالى وحده عليه يتوكل وإليه يلتجأ ومنه سبحانه وتعالى يطلب المدد والعون والتوفيق والتيسير نعم .

قال رحمه الله تعالى:

ثم ينبغي له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه بإشراف وهلع بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي يحتاج إليه من غير أن يكون له في القلب مكانة والسعي فيه إذا سعى كإصلاح الخلاء وفي الحديث المرفوع الذي رواه الترمذي وغيره من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله وفرق عليه ضيعته ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال بعض السلف أنت محتاج إلى الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما قال الله تعالى:« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

ثم بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بيانا آخر البيان الأول في الإجابة على سؤال السائل عن أرجح المكاسب يتعلق بالتوكل على الله واللجوء إليه وبذل الأسباب المشروعة هذا البيان الأول البيان الثاني قال ثم ينبغي له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه بإشراف وهلع الإجابة على السؤال ستأتي لاحقا لكن هذه مقدمات يحتاج إليها من يدخل في أبواب التجارة ومجالات الاكتساب وطلب الرزق ولما دخل كثير من الناس في التجارة بدون هذه المقدمات دخلوا في مداخل سيئة جدا وجرت عليهم ورطات عظيمة في مكاسب محرمة أو أعمال محرمة أو طرائق محرمة ولهذا كل إنسان يدخل للتجارة يحتاج فعلا إلى هاتين المقدمتين اللتين بدأ بهما شيخ الإسلام المقدمة الأولى مقام التوكل على الله سبحانه وتعالى وبذل الأسباب المشروعة والمقدمة الثانية أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه بإشراف وهلع يعني لا تكون نفسه فيها هلع وجشع وطمع وإشراف للمال وإنما تكون نفسه تأخذ هذا المال بسخاوة لا أن يكون هذا المال هو أكبر همه ولا أن يكون هذا المال أيضا هو مبلغ علمه وفي الدعاء اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا قال فيأخذه بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه بإشراف وهلع بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء وهذه صعبة جدا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه العبودية لما جاء لمسألة المال – المال سمي مال لأنه يميمل بصاحبه– قال ينبغي أن يجعل الإنسان ماله مثل الحمار يركبه للحاجة أو يجعله مثل بساطه الذي يجلس عليه قال لا بل يجعله مثل الكنيف وهنا في هذه الوصية ترك التمثيل بالحمار والفراش ومباشرة قال يجعله مثل الخلاء والخلاء يحتاجه الإنسان لقضاء حاجته فالمال أيضا مال الإنسان لقضاء حاجته ما يحتاج إليه الإنسان يقول الذي يجمع الأموال يقول مالي مالي لكن ما الذي له من ماله؟ ليس له من ماله إلا ما لبس فأبلى أو أكل فأفنى أو تصدق فأبقى أما بقية المال ولو كانت الملايين فهي ليست له للورثة ولهذا يسمى جامع المال خازن مهمته خزن المال وجمع المال للورثة مثل ما قال الناظم:

وأموالنا لذوي الميراث نجمعها**وبيوتنا لخراب الدهر نبنيها.

يقول رحمه الله تعالى بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي يحتاج إليه من غير أن يكون له في القلب مكانة إذا ملخص وصية شيخ الإسلام أن يكون المال في يد الإنسان ولا يكون في قلبه المال يكون في يده ليقضي حاجته ليقضي مصالحه لا يكون في قلبه الذي في قلبه هو الذي خلق لأجله وأوجد لأجله وهو العبودية والخضوع والذل لله سبحانه وتعالى والانكسار بين يديه سبحانه جل وعلا قال بل يكون المال عنده بنزلة الخلاء الذي يحتاج إليه من غير أن يكون له في القلب مكانة والسعي فيه إذا سعى كإصلاح الخلاء إذا سعى في إصلاح ماله مثل سعيه في إصلاح خلائه لأنه يحتاجه لأوقات معينة أيضا المال حاجة الإنسان إليه في الانتفاع به هي في أشياء معينة قال وفي الحديث المرفوع الذي رواه الترمذي وغيره من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله وفرق عليه ضيعته أي صنعته ومصلحته وحاجته وفرق عليه ضيعته ولم يأتيه من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة إذا هذا الحديث العظيم فيه دعوة للمؤمن ألا يجعل الدنيا في قلبه ولا يجعل المال في قلبه وإنما يجعل همه الآخرة وسعيه للآخرة ويبذل من الأسباب في تحصيل المال وكسب المال وطلب الرزق لكن لا يكون المال أكبر همه ولا يكون أيضا مبلغ علمه وأيضا تأمل في الدعاء فيه نكتة مهمة في الباب الدعاء قال فيه صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا » ومعنى ذلك أنه مباح للإنسان أن يهتم ومطلوب من الإنسان أن يهتم بأمر دنياه مصالحه رزقه بيته إلى آخر ذلك مطلوب منه أن يهتم بهذا الأمر لكن لا يجعل هذه الأشياء هي أكبر همه ومبلغ علمه قال وقال بعض السلف أنت محتاج إلى الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج إذا كيف يصنع الإنسان؟ أنت محتاج إلى الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج إذا ماذا يصنع والحالة هذه قال فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما يعني لا تجعله هو همك ولا تجعله هو مبلغ علمك وإنما لك وجهة لك سفر لك مقصد كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل فيأتي لحاجته الدنيوية ينتظمها انتظاما لا أن يقيم عندها ويجعلها هي التي تأخذ قلبه وتأخذ همه وتأخذ فكره وتأخذ علمه وينصرف بها عما خلق لأجله وهو عبادة الله والاستعداد والتهيؤ للدار الآخرة قال أنت محتاج إلى الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما قال الله تعالى:« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » لماذا جاء بهذه الآية؟ لينبه الإنسان في هذا المقام أنه مخلوق للعبادة لم يخلق للدنيا ولم يخلق لهذا المال خلق لعبادة الله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون إذا هذا الذي خلق لأجله وأوجد لتحقيقه هو الذي ينبغي أن يكون أكبر هم الإنسان وأن يكون هو مبلغ علم الإنسان وأن يهتم به وأن يقدمه على أي أمر آخر قال:« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ».نعم.

قال رحمه الله: فأما تعيين مكسب على مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية أو حرافة أو غير ذلك فهذا يختلف باختلاف الناس ولا أعلم في ذلك شيئا عاما لكن إذا عنى للإنسان جهة فليستخر الله تعالى فيها

الاستخارة المتلقاة عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم فإن فيها من البركة ما لا يحاط به ثم ما يتيسر له فلا يتكلف غيره إلا أن يكون منه كراهة شرعية.

هنا دخل شيخ الإسلام رحمه الله في بيان مطلوب السائل عندما سأل شيخ الإسلام رحمه الله عن أرجح المكاسب لكنه قدم كما أسلفت بمقدمتين مهمتين المقدمة الأولى في التوكل مع بذل الأسباب المشروعة والمقدمة الثانية أن يأخذ المال بسخاوة نفس لا أن يأخذه بإشراف نفس والعبد إذا أخذ المال بإشراف نفس وهلع وعلق قلبه بهذا المال يضره أضرارا عظيمة حتى في صحته وربما بعض الناس يفقد الحياة أو يصاب بجلطة أو أشياء من هذا القبيل بسبب أنه علق قلبه بهذا المال ولهذا أحد الكتاب وليس من المسلمين كان يتكلم عن الأسهم وكانت قديما وجدت في بعض الدول فكان يذكر حقيقة عاينها يقول يقول بات من المتقرر أنه كلما انخفضت نسبة الأسهم زادت نسبة السكر في الدم وأيضا ذكر شيئا يتعلق بالضغط وكذا فهذه أمور أصبحت صحة الإنسان لما تعلق قلبه بهذه الأشياء أصبحت صحة الإنسان وعافيته تتبع هذا المال الذي تعلق قلبه به بينما إذا أخذ المال بسخاوة نفس لا بإشراف نفس عوفي بإذن الله سبحانه وتعالى من هذه الأسقام وأيضا لما علق أناس قلوبهم بهذا المال أصبح يصاب بأمراض مثل القلق وأشياء من هذا القبيل تضر بصحته وعافيته وليس له من المال إلا ما قسم الله سبحانه وتعلى له وهذا المعنى سبق أن أوضحه وبينه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى الشاهد لما أنهى بيان هاتين المقدمتين دخل في مطلوب السائل فقال أما تعيين مكسب على مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية أو حرافة أو غير ذلك فهذا يختلف باختلاف الناس ولا أعلم في ذلك شيئا عاما يعني بحيث أن يقال التجارة هي الأفضل أو الزراعة هي الأفضل أو الماشية هي الأفضل يقول لا أعلم في ذلك شيئا عاما لكن الإنسان يمضي فيما ييسره الله سبحانه وتعالى من ذلك وما يجد نفسه تميل له فأناس فيه ميل إلى الصناعة وهناك من يميل إلى الحرافة وهناك من يميل إلى كذا قال لا أعلم في ذلك شيئا عاما لكن إذا عن للإنسان يعني ظهر وبرز للإنسان جهة معينة فليستخر الله فيها الاستخارة المتلقاة من معلم الخير صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الاستخارة ويأتي بالدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فإن فيها أي الاستخارة من البركة ما لا يحاط به قال ثم ما تيسر له أي من أبواب الكسب فلا يتكلف غيره لأن بعض الناس تجده مضطرب وكثير التنقل فلا يثبت على باب ولا يقر له قرار فيقول ثم ما تيسر له فلا يتكلف غيره إلا أن يكون منه كراهة شرعية فيتركه لما فيه من كراهة شرعية يعني يتركه لأنه يخشى أن فيه محظورا لكن إذا مشى في مجال معين ومالت إليه نفسه وخطى فيه يستمر في هذا الأمر ولا ينتقل عنه لغيره إلا أن يكون منه كراهة شرعية ويكون بهذا أنهى رحمه الله تعالى ما طلب إليه منه السائل وبقى أمرا أخيرا وهو الكتب التي يوصيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بقراءتها .

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر اللهم اغفر ذنوب المذنبين وتب على التائبين اللهم فرج هم المهمومين ونفس كرب المكروبين واقض الدين عن المدينين واشف مرضانا ومرضى

المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتننا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

انتهى الشريط الخامس

الشريط السادس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فيقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في وصيته:

وأما ما تعتمد عليه من الكتب في العلوم فهذا باب واسع وهو أيضا يختلف باختلاف نشء الإنسان في البلاد فقد يتيسر له في بعض البلاد من العلم أو من طريقه و مذهبه فيه ما لا يتيسر له في بلد آخر لكن جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه في تلقي العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه هو الذي يستحق أن يسمى علما وما سواه إما أن يكون علما فلا يكون نافعا وإما أن لا يكون علما وإن سمى به ولئن كان علما نافعا فلا بد أن يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما يغني عنه مما هو مثله وخير منه ولتكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه فإذا اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل عنه

فيما بينه وبين الله تعالى ولا مع الناس إذا أمكنه ذلك وليجتهد أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مذكور عن النبي صلى الله عليه وسلم وإذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام يصلي من الليل اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم فإن الله تعالى قد قال فيما رواه عنه رسوله يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم.

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

فهذا هو آخر ما يتعلق بما أوصى به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أبا القاسم السبتي رحمهما الله وكان كما عرفنا أبا القاسم السبتي طلب من شيخ الإسلام وصية جامعة مختصرة وحدد في طلبه ما أراد من شيخ الإسلام رحمه الله أن يوصيه به وكان مما طلب كما مر معنا قال وكذلك يرشدني إلى كتاب يكون عليه اعتمادي في علم الحديث وكذلك في غيره من العلوم الشرعية وفي هذا الموضع أخذ يتحدث شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في هذه الوصية بما يتعلق بهذا الجانب وهو ما يعتمد عليه طالب العلم من الكتب فيقول رحمه الله وأما ما تعتمد عليه من الكتب في العلوم أي علوم الشريعة فهذا باب واسع لأن الشريعة كما لا يخفى هناك القرآن وعلومه والتفسير وقواعد التفسير وهناك أيضا الحديث وما يتعلق به من حيث الرواية ومن حيث الدراية هناك أيضا ما يتعلق بالأحكام والفقه في دين الله عقيدة وعبادة وأيضا هناك ما يتعلق بعلوم الآلة التي تخدم وتكون مقصودة لغيرها مقصودة لفهم دين الله تبارك وتعالى فيقول هذا باب واسع أي الحديث عن ذلكم لا تحتمله هذه الوصية المختصرة هذا من جهة قال ومن جهة أخرى أن هذا أيضا يختلف باختلاف نشء الإنسان في البلد ونشأة الإنسان في البلد من حيث وجود الكتب العلمية ومن حيث أيضا من يعلمه ما في هذه الكتب من علم أمر أيضا يحدد إمكانية الإنسان في التعلم ولاسيما في الزمن الذي يتحدث فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه الوصية وهو زمان يختلف عن زماننا هذا من حيث الإمكانات لا من حيث توفر الكتب ونحن نرى في وجود المطابع الحديثة كيف أصبحت تنشر الكتب بكميات هائلة وبالآلاف المؤلفة فتنتشر الكتب بكميات هائلة جدا بينما سابقا الكتاب لا ينتشر إلا بأقلام أقلام الطلبة ولهذا ثمة محدودية في انتشار الكتب فالكتاب إنما ينتشر بأقلام الطلبة فلهذا الكتاب الواحد يتداوله العشرات وربما المئات كل يستعيره ليلة أو ليلتين حتى يمر على هذا الكتاب وكان أحيانا إذا مر عالم ومعه بعض كتبه على قرية أو على مدينة طلاب العلم في تلك الليلة التي مر بها عليهم يستعيرون ما عنده من كتب نسخا وقراءة وحفظا لما يستطيعون حفظه مما اشتملت عليه تلك الكتب ففي زماننا هذا الأمر اختلف تماما من حيث كثرة الكتب واختلف أيضا تماما من حيث وسائل الاتصال وطرائق التلقي حتى إن بعض أهل العلم ماتوا منذ سنوات وعلومهم محفوظة بأصواتهم وهذا لم يكن في الزمان الأول الآن تستطيع أن تسمع شروحات نفيسة جدا للإمام ابن باز الإمام ابن عثيمين للإمام الألباني لغيرهم من أئمة العلم والفضل تستطيع أن تسمع

ذلكم بأصواتهم إضافة إلى وسائل الاتصال التي يسرت أمورا كثيرة لكن مع هذا اليسر أيضا في المقابل هناك زهد يعني مع هذا اليسر في هذه الوسائل وتوفر الكتب وطريقة التحصيل أيضا في المقابل هناك زهد في التلقي قديما الكتاب الثمين لابد أن يقرأه طالب العلم كاملا لأنه يمر به مرورا إن لم يقرأه ويحاول أن يستوعب ما فيه في ليلة أو ليلتين أو ثلاثة فاته فتجده يحرص عليه أشد الحرص بينما نحن لا نقرأ كتاب نقتني الكتاب ولا نقرأه كل ما أردنا أن نقرأ الكتاب قالت لنا النفس الكتاب عندك في البيت متى ما احتجته تقرأه ومتوفر عندك فيبقى في الرف لا يقرأ اللهم إلا أول ما يقتنيه طالب العلم ربما ينظر في فهرسه أو في بعض المواضع منه ثم لا يعود إليه ثانية مرة أخرى فتوفر الكتب بهذه الطريقة أدى عند كثير من الناس إلى الزهد في كتب العلم والاستفادة منها وقراءتها والانتفاع بها فخلاصة القول أن شيخ الإسلام رحمه الله يتحدث عن الحال في زمانه قال وأيضا يختلف باختلاف نشأ الإنسان في البلاد لمحدودية التحصيل في ذلك الوقت أما في زماننا هذا الأمر اختلف أذكر مرة ذكرت للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى خبرا سره جدا في إحدى الدول رأيت مجموعة من الشباب وكانوا يسألون أسئلة علمية أسئلة طلاب علم قلت أنتم ماذا تعملون قالوا نحن عمال في مصنع ملابس اضطرتهم حاجتهم للعمل لطلب الرزق قلت لكن هذه الأسئلة التي تسألونها تدل على شيء من التحصيل قالوا نحن منذ سنوات عندنا مع الشيخ ابن عثيمين درس أسبوعي قلت تتصلون به بالهاتف قالوا لا نحن كل أسبوع نستمع شريط من شرحه لبلوغ المرام نحفظ الأحاديث ونسمع شرح الشيخ ولنا سنوات كل أسبوع نسمع شريطا واحدا شريطا واحدا كل أسبوع العمل إذا استمر ولو كان قليلا يعطي ثمرة ولو بعد سنوات لكن المشكلة أن من يمضي حياته ولا يجعل للعلم حظه أو نصيبا فهؤلاء جعلوا يوم واحد في الأسبوع يجلسون جلسة معا ولهم طريقة أيضا معينة شرحوها فذكرت ذلك للشيخ ابن عثيمين رحمه الله سر بذلك هذه الطرائق الآن لم تكن متوفرة لدى من سبقنا فتيسرت وسائل حقيقة لتحصيل العلم والاستفادة من العلماء أمورا لم تكن متيسرة في وقت سابق قال وهو أيضا يختلف باختلاف نشأ الإنسان في البلاد فقد يتيسر له في بعض البلاد من العلم أو من طريقه و مذهبه فيه ما لا يتيسر له في بلد آخر ويمكن أن يضاف على ما قاله وهو يكتب لشخص معاصر له لكن من حيث الوصية عموما نقول أيضا يتيسر من وسائل التحصيل في زمان ما لا يتيسر في زمان آخر مثل ما هو الأمر في زماننا هذا يعني فالرجل أو المرأة في بيت في قرية من القرى أصبح يتمكن وهو في القرية ما لم يكن موجودا إطلاقا في وقت سابق وهو في بيته المرأة وهي في بيتها جالسة في مرقدها تستطيع تحصل علم غزيرا بوسائل الاتصال الحديثة هذا الأمر لم يكن موجودا سابقا الإنسان في القرية متى يحصل علما إلا من خطيب الجمعة أو إذا كان وجد عالما مر بقرية ألقى درسا أو درسين أو جلس أياما يلقي دروسا لكن الآن تيسرت الوسائل لكن بالمقابل أيضا حصل زهد كبير لدى الناس في تحصيل العلم بينما في وقت سابق العالم إذا مر يحاول طلبة العلم أن يأخذوا أكبر قدر من الفوائد والفوائد التي يأخذونها أيضا تضبط ويحرصون على ضبطها لأنها إذا ما ضبطت ذهبت فتجده يحرص على ذلك أشد ما يكون من الحرص قال لكن جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه وتعالى وهذا أصل عظيم يؤكد عليه رحمه الله في كل مقام يغرسه في كل مناسبة مر معنا قريبا لما تحدث عن أرجح المكاسب

أول ما بدأ قال تتوكل على الله أيضا في طلبك للعلم قال تستعين بالله تطلب العون من الله والله لا يمكن أن تحصل فائدة واحدة إلا إذا أعانك الله على تحصيلها إلا إذا يسرها الله لك وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقل ربي زدني علما فلا يمكن أن يحصل الإنسان من العلم قد ذرة إلا إذا أعانه رب العالمين و لهذا من أهم المهمات وآكد المطالب في هذا الباب أن يعتني طالب العلم بالاستعانة طلب العون من الله سبحانه وقل ربي زدني علما كان عليه الصلاة والسلام كل يوم إذا أصبح قال في دعائه بعد أن يسلم من صلاة الفجر اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا يدعو بهذه الدعوات الثلاث كل يوم في الصباح ويبدأ بالعلم النافع مقدما له على الرزق وعلى العمل لأن العلم أساس لابد منه ليميز به صاحبه بين الرزق الطيب والخبيث وبين العمل الصالح والفاسد إذا لم يكن عند طالب العلم أو عند المسلم علم يضيء له طريقه كيف يميز بين خبيث وطيب أو صالح أو طالح فالعلم هو الأساس وبه يبدأ ولهذا بدأ الله به قال:« فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » فبدأ بالعلم قبل القول والعمل ونبينا عليه الصلاة والسلام بدأ بالعلم في هذه الدعوة قبل الرزق وقبل العمل لأنه أساس لابد منه ولابد من تقديمه حتى يستطيع المسلم أن يميز في باب الأرزاق بين طيبها وخبيثها وفي باب الأعمال بين صالحها وطالحها قال ولكن جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه في تلقي العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلب من الله جل وعلا أن يعينه على تلقي العلم الموروث عن النبي صلوات الله وسلامه عليه حدد هنا العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم قد صح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال:« والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » قال العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه هو الذي يستحق أن يسمى علما لأنه هو العلم الذي يضيء للعبد الغاية التي خلق لأجلها ووجد لتحقيقها هو الذي يكون به الخروج من الظلمات إلى النور يكون به إبصار الطريق ولهذا جاء في القرآن تسمية الوحي نورا كما قال الله سبحانه وتعالى:« وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا » فالعلم نور لصاحبه يضيء له طريقه العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم نور لصاحبه يضيء له طريقه ويمشي به في الظلمات يعرف أين يضع قدمه يعرف إلى أين يسير يعرف ماذا يتقي يعرف الحلال من الحرام الهدى من الضلال السنة من البدعة الحق من الباطل كل ذلكم لا يعرف إلا بالعلم ولا سبيل إلى معرفته إلا بالعلم فهو الذي يستحق أن يسمى علما وفي الآيات:« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى » ونحوها من الآيات المراد بها هذا العلم الموروث عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه قال وما سواه أي ما سوى هذا العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم إما أن يكون علما فلا يكون نافعا إما أن يكون علما يعني يطلق عليه علم لكنه ليس بنافع إما أنه ليس بنافع أو ضار « ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه » السحر علم يتعلم لكنه علم ضار يهلك متعلمه ويهلكه في دنياه وأخراه وهكذا العلوم الأخرى وما سواه إما أن يكون علما فلا يكون نافعا وإما أن لا يكون علما وإن سمي به ومما يصلح شاهدا لهذا الموضع ما يسمى بعلم الكلام السلف رحمهم الله قالوا في ذم علم الكلام قالوا

العلم بالكلام جهل والجهل بالكلام علم قالوا العلم بالكلام جهل لأن حقيقته جهالات وإن ظنها أصحابها خلاف ذلك لكنها في الحقيقة جهالات ولهذا قال السلف قديما في ذمهم لهذا العلم قالوا العلم بالكلام جهل والجهل بالكلام علم يعني عندما يعرض الإنسان عن علم الكلام ويحرص على أن يكون جاهلا بهذا العلم ليس متعلما له معرضا عنه هذا دليل على ماذا؟ دليل على أنه عنده علم حجزه وصرفه عن الاشتغال بهذا الكلام الباطل الذي لا يورث إلا الشكوك والأضرار في عقائد الناس وأديانهم قال وإما ألا يكون علما وإن سمي به ولئن كان علما نافعا هذا احتمال ثالث ولئن كان علما نافعا يعني وجد أشياء نقولات فيها حكم فيها فوائد ونحو ذلك ولئن كان علما نافعا فلابد أن يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما يغني عنه يعني مثلا عندما يتحدث بعض الناس عن الآداب وتجده يقول قال الكاتب الفلاني من غير المسلمين وقال الكاتب الفلاني ومن غير المسلمين وينقل عن كتاب مثلا غربيين آداب وتكون هذه الآداب حسنة في نفسها ليست سيئة فينقلها وينشرها بأسماء هؤلاء يقول ابن تيمية رحمه الله ولئن كان علما نافعا فلابد أن يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم مما يغني عنه مما هو مثله وخيره ولهذا أمة محمد عليه الصلاة والسلام الذين أكرمهم بأن كانوا أتباع لهذا النبي صلوات الله وسلامه عليه الذي جاء بأبواب الخير كلها ما ترك خيرا إلا دل الأمة عليه ولا شرا إلا حذرها منه ينبغي أن يكون ارتباطهم بهديه وصدورهم عن سنته وتلقيهم عنه صلوات الله وسلامه عليه وأن يتخذوه إماما لهم في العقيدة وفي العبادة وفي الآداب في جميع جوانب الدين قال رحمه الله ولتكن همته فهم مقاصد الرسول لما قدم بهذا التقديم قال ينبغي على طالب العلم أن تتجه همته عزيمته رغبته تتجه لفهم مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا أيضا تنبيه من شيخ الإسلام ألا يكون حض طالب العلم من العلم حفظ الألفاظ المأثورة بل يحرص مع حفظها على الفهم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:« نظر الله امرءا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها » قال ووعاها لابد من الوعي والفهم لكلام الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال ولتكن همته فهم مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره ونهيه وسائر كلامه الذي جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام هو إما أمر أو نهي أو أخبار فقوله سائر كلامه هذا يرجع إلى جانب الأخبار المنقولة عن النبي عليه الصلاة والسلام أما حاصل ما جاء عنه إما أمر أو نهي أو أخبار ولهذا كانت الشهادة له لأنه رسول الله تعني طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانتهاء عما نهى عنه وزجر لأنها حاصل ما جاء به صلى الله عليه وسلم يرجع إلى هذه الأمور الثلاثة الأوامر والنواهي والأخبار الأوامر تفعل والنواهي تجتنب والأخبار تصدق ولابد فيها كلها من العلم العلم بالأمر العلم بالنهي العلم بالأخبار قال فإذا اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يعدل عنه يعني لا يذهب عنه لغيره إذا اطمأن أن هذا هو مراد الرسول عليه الصلاة والسلام بلغه الحديث وفهم معناه وعرف المراد فإذا اطمأن أن هذا هو مراد الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يعدل عنه وليس لأحد استبان له سنة النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعها لقول أحد كائن من كان كما نقل نحو هذا المعنى عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال فلا يعدل عنه فيما بينه وبين الله ولا مع الناس يعني في الجانبين الذين مضت الإشارة إليهما حقوق الله وحقوق العباد إذا استبان لك الأمر فيما يؤثر ويروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أن هذا حق من حقوق الله

فاظفر به ولا تعدل عنه إلى غيره كذلكم ما يتعلق بحقوق العباد مما ثبتت به الأدلة وقامت عليه الأدلة من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فلا تعدل عنه قال فلا يعدل عنه فيما بينه وبين الله ولا مع الناس إذا أمكنه ذلك فاتقوا الله ما استطعتم ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فانتهوا فيجتهد قدر استطاعته على الظفر بذلك والاستمساك به قال وليجتهد أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام مما يؤكد عليه أهل العلم كثيرا قديما وحديثا العناية بكتاب الأربعين للإمام النووي رحمه الله تعالى لأن هذا الكتاب وفق مؤلفه رحمه الله تعالى لجمع الأحاديث الجوامع التي أتت على كليات الدين وأصوله وجوامع كلم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فإذا تيسر لطالب العلم أن يحفظ الأربعين للإمام النووي رحمه الله تعالى كان عنده تأصيل عظيم جدا في أبواب الدين عقيدة وعبادة وخلقا لأن الأحاديث التي جمعها الإمام النووي رحمه الله تعالى فعلا جمعت ذلك إذا فرغ من هذه الأربعين انتقل بعد ذلكم لما كتبه أهل العلم متدرجا في التحصيل والطلب سواء في باب الاعتقاد والتوحيد أو باب العبادة والعمل أو باب الأخلاق والآداب يتدرج تحصيلا وتلقيا للعلم متدرجا فيه لكن من أهم وأولى ما يبدأ به كتاب الأربعين للإمام النووي رحمه الله تعالى قال وإذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » وكان شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عظيم العناية بهذه الدعوة عظيم التأكيد على العناية بها كثيرا ما كان يوصي رحمه الله تعالى بهذه الدعوة يعلم ذلك من يطالع كتبه رحمه الله وسيرته وما نقله المترجمون عنه رحمه الله تعالى كثيرا ما يوصي بهذه الدعوة ويحث عليها والمسلم عندما تشتبه عليه مسألة ويكون فيها خلاف أو يكون مثلا نشأ على أمر من الأمور لنقل مثلا نشأ على بدعة من البدع ستين سنة أو سبعين سنة ثم فوجيء بعد السبعين من يقول له يا أخي انتبه هذه بدعة ليس عليها دليل فيبقى يتنازعه جاذبان جاذب ما نشأ عليه وترعرع عليه وكبر عليه ويصعب على كثير من الناس أن يتخلى عن شيء مضى عليه تلك السنوات الطوال وبين هذا الخبر الجديد أو المعلومة الجديدة التي وصلت إليه أنه بدعة فبعض الناس يرفض أصلا ويغلق الباب إطلاقا بينما المطلوب في مثل هذا المقام اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى معلم الخير من بيده العلم من بيده التوفيق من بيده السداد سبحانه وتعالى يلجأ إلى الله لا يمضي طالما أنه فتح له باب تنبيه فيلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ويدعو بهذه الدعوة اللهم رب جبريل وميكائل وإسرافيل وهذا توسل إلى الله سبحانه وتعالى بربوبيته لهؤلاء الملائكة كثر لكن خص هؤلاء الثلاث لأنهم أشرف الملائكة وأعظم الملائكة جبريل موكول بالوحي الذي به حياة القلوب وميكائل موكول بالقطر الذي به حياة الزروع والنبات وإسرافيل موكول بالنفخ في الصور الذي فيه حياة الأرواح أنواع الحياة الثلاث فخص هؤلاء الثلاثة من الملائكة بذكر التوسل بربوبية الله سبحانه وتعالى لهم ثم قال فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الذي أحاط علما بكل شيء أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون هذه كلها توسلات إلى الله سبحانه وتعالى ثم يأتي المطلوب اهدني

لما اختلف فيه من الحق بإذنك يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يمن عليه بالهداية إلى الحق والصواب في هذا الذي اختلف فيه ناس يقولون سنة وناس يقولون بدعة أو ناس يقولون واجب وناس يقولون حرام وهو لا بصيرة له ولا علم له ولا دراية له فيدعو بهذا الدعاء ثم يعتني بما أكد عليه شيخ الإسلام قريبا وهو إذا استبانت السنة بالدليل لا يعدل عنها إذا استبانت السنة بالدليل استبانت له ظهرت وضحت بدليل من كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام فلا يعدل عنها لقول أحد كائن من كان قال فإنه تعالى قد قال فيما رواه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم الله يقول جل شأنه يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم فاستهدوني أي اطلبوا مني الهداية ومن وسائل طلب الهداية الدعاء بهذه الدعوة التي كان يدعو بها إمام المهتدين صلوات الله وسلامه عليه إذا قام يناجي الله في الثلث الأخير من الليل الذي هو أرجى أوقات الإجابة وأحرى أوقات الإجابة ولهذا ينبغي على الإنسان أن يجعل لنفسه حظا من هذا الدعاء ولاسيما في الثلث الأخير من الليل تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يدعو بهذه الدعوة العظيمة المباركة في الثلث الأخير من الليل ويلجأ إلى الله اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك قد يكون هذا الذي يدعو بهذه الدعوة نشأ على بدع لكن صدق مع الله سبحانه وتعالى ليليا يسأل الله اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك يسأل الله بصدق يلح على الله بصدق يفتح الله سبحانه وتعالى له من أبواب السنة والبعد عن البدعة والبعد عن الأهواء والضلالات ينشرح صدره إلى الخير لأن الأمر بيد الله سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد هو الهادي جل شأنه يهدي من يشاء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم الله جل وعلا هو الهادي أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء الهداية بيد الله سبحانه وتعالى ولهذا ينبغي على المسلم أن يعتني بهذه الدعوة العظيمة المباركة يحفظها يفهم معناها يحرص على الدعاء بها ولاسيما في الثلث الأخير من الليل تأسيا بالنبي عليه الصلاة والسلام وحرصا على النفس ألا تبقى في ظلام ألا تبقى في غواية ألا تبقى في بدع وأهواء يموت عليها الإنسان ويلقى بها ربه فما دام حيا ما دامت الفرصة أمامه يدعو الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء صدقا والتجاءا صادقا إلى الله سبحانه وتعالى ورب العالمين يهيئ له من أبواب التيسير والفهم والمعرفة بالسنة والبعد عن الأهواء ما لا يحتسب العبد ومالا يخطر له على بال بخلاف عندما يكون الإنسان نشأ مثلا على بعض الأعمال الخاطئة ثم يصر عليها ويبقى معاندا بالتمسك بها وبعض الناس لو قيل له ادع الله سبحانه وتعالى أن يهديك إلى الحق ادع بهذه الدعوة يقول لك وهل أنا ضال حتى أدعو أنا على هداية يقول أليست الدعوة بالهداية دعوة افترضها الله سبحانه وتعالى عليه سبع عشر مرة في كل يوم وليلة وهذا لم يكن في أي دعاء آخر ابن تيمية رحمه الله صاحب هذا الكتاب يقول تأملت الدعوات فوجدت أنفعها وأعظمها سؤال الله الهداية ليس في الدعاء أعظم من هذا أن تسأل الله سبحانه وتعالى أن يهديك ليس في الدعاء أفضل من هذا الدعاء هو أعظم دعاءا ولهذا افترضه علينا جل وعلا في اليوم والليلة سبع عشرة مرة نقول اهدنا الصراط المستقيم سورة الفاتحة هذا دعاء اهدنا الصراط المستقيم أي أسألك يا ألله أن تهديني الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين هذا دعاء ودعاء فرضه الله علينا فرضا في اليوم

والليلة سبعة عشرة مرة لأن الصلوات المكتوبة عدد ركعاتها في اليوم والليلة سبع عشرة ركعة الفجر اثنتين والظهر أربع والعصر أربع والمغرب ثلاث والعشاء أربع فهذه سبع عشرة ركعة في اليوم والليلة في كل ركعة تقول اهدنا الصراط المستقيم تسأل الله الهداية فهذه الدعوة دعوة عظيمة ينبغي على المسلم أن يعتني بها سواءا الدعاء الذي في فاتحة الكتاب أو هذا الدعاء المبارك الذي يدعو به المسلم كل ليلة جاء في صحيح مسلم أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم علمني دعاءا أدعو الله به قال:قل اللهم إني أسألك الهدى والسداد وفي رواية قال: قل اللهم اهدني وسددني واذكر بالهداية هداية الطريق واذكر بالسداد سداد القوس فعلمه عليه الصلاة والسلام هذه الدعوة فنحافظ على الدعاء اللهم إني أسألك الهدى والسداد اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت أدعية كثيرة مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم يحرص المسلم عليها ويعتني بها نعم.

قال رحمه الله تعالى:

وأما وصف الكتب والمصنفين فقد سمع منا في أثناء المذاكرة ما يسره الله سبحانه وما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن إسماعيل البخاري لكن هو وحده لا يقوم بأصول العلم ولا يقوم بتمام المقصود للمتبحر في أبواب العلم إذ لا بد من معرفة أحاديث أخر وكلام أهل الفقه وأهل العلم في الأمور التي يختص بعلمها بعض العلماء وقد أوعبت الأمة في كل فن من فنون العلم إيعابا فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن لبيد الأنصاري أوليس التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم فنسأل الله العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد ويلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين وصلواته على أشرف المرسلين.

ثم قال رحمه الله وأما وصف الكتب والمصنفين فقد سمع منا في أثناء المذاكرة ما يسره الله تعالى أي أنه رحمه الله تعالى في مجالسه العلمية وفي دروسه كان يذكر لطلاب العلم ما يحتاجون إليه من كتب يذكر لهم الكتب ويذكر لهم المصنفين بحسب المقامات التي كان رحمه الله تعالى يقررها ويتكلم فيها فيقول سمع منا في أثناء المذاكرة ما يسره الله تعالى وما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن إسماعيل البخاري كتاب البخاري الذي هو كتاب الصحيح أصح كتاب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى وهذا الكتاب مثلما يوضح شيخ الإسلام رحمه الله تعالى جمع بين الصحة ودقة الأبواب جمع بين صحة الأحاديث ودقة الأبواب وشمولها في جميع أبواب الشريعة ولهذا نص على هذا المعنى قال ما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن إسماعيل البخاري فكان ذلكم منه رحمه الله تأكيد لهذا الرجل الذي طلب الوصية من شيخ الإسلام أن يعتني بكتاب صحيح الإمام البخاري كنت أشرت فيما سبق أن أبا القاسم السبتي رحمه الله له كتاب تحدث فيه عن رحلاته ولقاءاته بأهل العلم وسماعاته منهم وكان رجلا يرحل في طلب العلم وتحصليه وكتابه هذا طبع بعنوان " برنامج التجيبي " قال فيه وكان من جملة الوصايا التي أوصاني بها التقي الفاضل أبو العباس ابن تيمية أن قال لي ما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح

محمد بن إسماعيل يذكر هذه الوصية التي سمعها وتلقاها عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ثم قال وصدق ابن تيمية قوله وصدق يدل على أن هذه الوصية كان لها أثر عليه بمعنى أنه اعتنى بالكتاب عملا بهذه الوصية ورأى أثر هذا الكتاب وعظم عائدته وكبر فائدته قال وصدق ابن تيمية والله يفهمنا ما فيه ويرشدنا للعمل بمقتضاه بمنه وكرمه ودعى بهاتين الدعوتين يفهمنا ما فيه ويرشدنا للعمل بمقتضاه لأنه مر معنا تأكيد شيخ الإسلام على قضية الفهم وتأكيده على قضية العمل وأيضا تأكيده على الدعاء تأكيد ابن تيمية رحمه الله على الدعاء أن تدعو الله سبحانه وتعالى أن يعينك لأنك لا تستطيع أن تعمل أو تتعلم أو تحصل أي شيء إلا إذا أعانك الله سبحانه وتعالى على ذلك ويسره لك ثم قال شيخ الإسلام لكنه هو وحده لا يقوم بأصول العلم ولا يقوم بتمام المقصود للمتبحر والناس في هذا الباب على مراتب وعلى درجات فالمتبحر في علم الشريعة لا يكفيه الاقتصار على صحيح الإمام البخاري إذ لابد من معرفة أحاديث أخر لأن الإمام البخاري رحمه الله تعالى لم يقصد استيعاب جميع الصحيح الثابت عن الرسول عليه الصلاة والسلام إذا لابد من معرفة أحاديث أخر ليست في صحيح البخاري وكلام أهل الفقه وأهل العلم في الأمور التي يختص بعلمها بعض العلماء فتجد عالما برز في التفسير وعالما برز في الفرائض وعالما برز في الأحكام إلى غير ذلكم فالذي يتبحر في العلم يحتاج إلى العناية بكلام أهل الفقه وأهل العلم في الأمور التي يختص بعلمها بعض العلماء قال وقد أوعبت الأمة في كل فن من فنون العلم إيعابا أوعبت من الاستيعاب في كل فن من فنون العلم إيعابا يعني تجد في التفسير من فتح الله سبحانه وتعالى عليه في هذا الباب في الفقه في الأحاديث في حفظ أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وكل ميسر لما خلق له هذا في مجاله وهذا في مجاله وهذا في مجاله وكل يدعى له بمزيد التوفيق والسداد وكل أيضا يستفاد منه في مجاله وفيما يسره الله سبحانه وتعالى له من خير وهيأ له من أبواب العلم والمعرفة قال وقد أوعبت الأمة في كل فن من فنون العلم إيعابا فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك وإن قل يعني من الناس من يبلغه من العلم قدرا قليلا ونزرا يسيرا وأحاديث قلائل لكنه مستمسك بها ومعتن بها ومحافظ عليها فهما وعملا وتطبيقا فينفعه الله سبحانه وتعالى بها نفعا عظيما قال فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالا تجد الكتب عنده كثيرة والإطلاع عنده واسع لكنه في جانب تقوى الله والخوف من الله والعمل بطاعة الله والمحافظة على فرائض الدين والبعد عما حرم الله سبحانه وتعالى تجده في هذا الجانب ضعيف إلى أبعد حد ومقصر إلى أبعد حد لا عن جهل عنده علم وعنده دراية وعنده معرفة قال لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن لبيد الأنصاري أوليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم وهذه الرسالة المباركة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كنت قرأتها على الوالد حفظه الله وأفادني بإفادات لما وصلت إلى هذا الموضع قال حفظه الله كذلكم يدل على هذا المعنى قول الله سبحانه وتعالى:« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار » يعني المعنى الذي أشار إليه شيخ الإسلام واستدل له بحديث قول النبي لابن لبيد الأنصاري أوليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم قال الوالد أيضا يدل لذلك قول الله سبحانه وتعالى:« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل

أسفارا » حملوا التوراة أي حفظوها ثم لم يحملوها أي لم يعملوا بها فصار مثلهم المطابق لحالهم تمام المطابقة كمثل الحمار يحمل أسفارا يعني لو وضع فوق ظهره أنفس الكتب ومشى في الطريق وهذه الكتب النفيسة فوق ظهره هل يستفيد منها؟ هذا مثل لهؤلاء وهو مثل لكل من يحمل علما لكنه لا يبالي بالعمل به ولهذا قال أهل العلم قديما قالوا من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود لأن عندهم علم لكن لا يعملون به ولهذا يقول أورد شيخ الإسلام قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن لبيد الأنصاري أوليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم يعني ماذا تغني عن الإنسان كتب والإطلاع والقراءة والحفظ إذا كان لا يعمل ولايقيم للعمل أي اهتمام فيضيع الفرائض يضيع الواجبات يغشى المحرمات ولا يبالي فماذا تغني عنه الكتب وماذا تفيده إذا كان بهذه الصفة ثم ختم رحمه الله هذه الوصية العظيمة المباركة بالدعاء قال فنسأل الله العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد وعرفنا قريبا أن هذه الدعوة علمها النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والحديث في صحيح مسلم قال: علمني دعاء أدعو الله به قال:« قال اللهم إني أسألك الهدى والسداد » وهذه الدعوة جمعت الخير كله قال واذكر بالهداية هداية الطريق واذكر في السداد سداد القوس اذكر بالهداية عندما تسأل الله أن يهديك اذكر بها هداية الطريق عندما تكون في طريق وتريد بلدة معينة أو منطقة معينة وأنت لا تدري إلى أين أو من أين تصل إليها اذكر بالهداية هداية الطريق واذكر بالسداد سداد القوس عندما يكون معك نبل وتريد أن ترمي رمية فاذكر بالسداد سداد القوس يعني أن يصيب السهم الرمية وهذا يعني أن من يدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك الهدى والسداد يتبع الدعاء سلوك طريق الهداية ويحرص على السداد والإصابة يحرص على السداد على الإصابة إصابة هدي النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاء في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال إن هذا الدين يسر ولئن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا سددوا يعني احرصوا على السداد إصابة السنة وإن لم تتمكن من إصابتها احرص على المقاربة سددوا وقاربوا وأبشروا كل من هذا وهذا من كان على السداد ومن كان على المقاربة كل له نصيب من البشارة الشاهد أنه رحمه الله دعى بهذه الدعوة العظيمة نسأل الله العظيم أن يرزقنا وقوله أن يرزقنا هذا فيه فائدة أن الرزق لا يختص بالرزق الدنيوي الذي هو المال والطعام والشراب بل الرزق بمعناه الواسع يتناول الرزق الديني والرزق الدنيوي والله سبحانه وتعالى الرزاق يتناول هذا الاسم الرزق الذي هو ما يقوم به البدن من وطعام وشراب ونحو ذلك وأيضا يتناول الرزق ما تقوم به الروح من الإيمان والعلم والبصيرة في دين الله سبحانه وتعالى قال فنسأل الله العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد ويلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا يلهمنا رشدنا يسأل الله عز وجل أن يلهم العبد رشد نفسه أحيانا يستبين للإنسان الأمر يستبين له الأمر ويتضح له لكن نفسه لا تنهض للعمل وفي الدعاء اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد بمعنى أن الإنسان إذا تعلم وتفقه وتبصر أن يعمل بما أكرمه الله سبحانه وتعالى به من علم وبما من عليه به من علم قال ويقينا شر أنفسنا ونفس الإنسان أمارة بالسوء وكان عليه الصلاة والسلام في خطبة الحاجة يقول إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا شر النفس هو أصل لوقوع الخطأ النتيجة هي سيئات الأعمال سيئات الأعمال هي نتيجة لشر النفس فهذا جمع بين المنبع منبع الشر ونتيجته مثله تماما الدعاء

المأثور الذي يقال في الصباح والمساء وعند النوم اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم قوله أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه هذه منابع الشر منابع الشر النفس الأمارة بالسوء والشيطان الداعي إلى الشر والفساد النتيجة أن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم فهذا تعوذ بالله سبحانه وتعالى من منبع الشر ومن نتيجته قال ويلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا أي بعد أن من علينا بالهداية نسأله أن يعيذنا من الزيغ وفي القرآن:« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » قال وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب وهذه الدعوة مأخوذة من الآية الكريمة « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » ثم ختم الكتاب بما بدأ به وهو حمد الله سبحانه وتعالى والصلاة على رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ولما فرغت من قراءة الرسالة على الوالد قال حفظه الله وصية جامعة على اختصارها وهي كذلك.

نسأل الله الكريم الذي أكرمنا جميعا بهذه المجالس قراءة لهذه الوصية الثمينة النافعة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن ينفعنا بها وأن يجعل ما تعلمناه حجة لنا لا علينا وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يهدينا إليه صراطا مستقيما إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الأسئلة:

س١: أحسن الله إليكم وبارك فيكم ونفعنا لله بما قلتم وغفر الله لنا ولكم وللمسلمين يقول هذا السائل متى يقال هذا الدعاء الذي مر معنا اللهم رب جبريل وميكائل وإسرافيل؟

ج١ : هذا الدعاء لا بأس أن يدعو به الإنسان في أي وقت ولاسيما عندما يحتاج إليه في أمر ما مثل ما أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لكن يعتني به عناية أكثر وعناية أعظم في الثلث الأخير من الليل يستفتح به صلاة الليل كما أثر ذلكم عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه نعم.

س٢ : أحسن الله إليكم يقول كيف يجمع بين هذا الحديث يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته وقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة؟

ج٢ : ليس هناك تعارض بين الحديثين فقوله كلكم ضال إلا من هديته أي أن العبد لا سبيل له إلى العلم بشيء من أحكام الدين وشرائعه وفرائضه وواجباته إلا بتعلم العلم المتلقى عن الأنبياء والمرسلين ولا سبيل إلى هذا العلم إلا عن طريق الوحي وقد قال الله سبحانه وتعالى في شأن نبيه عليه الصلاة والسلام:« ووجدك ضالا فهدى » في سورة الضحى ومعنى ذلك جاء موضحا في سورة الشورى في آخر آية منها أو أواخرها قال:« وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » أي أن تفاصيل الشرائع وتفاصيل الدين وغير ذلكم لا يمكن العلم بها إلا من طريق الوحي الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على أنبيائه وبلغوه لأممهم فالناس كلهم ضلال إلا من أكرمه الله سبحانه وتعالى بتلقي الوحي الموروث عن الأنبياء عليهم

صلوات الله وسلامه ومن حيث أصل خلقة الإنسان فهو مولود على الفطرة قال فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وليس معنى كونه مولودا على الفطرة أنه على علم بالإسلام وتفاصيله وأحكامه ونحو ذلك فهذه لا سبيل إلى العلم بها إلا بالوحي الموروث عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نعم .

س٣ : أحسن الله إليكم يقول هل يجوز أن نقول لله ورسوله المنة والفضل أي بسبب الهداية وظهور الدين؟

ج٣ : المنة لله سبحانه وتعالى المنة لله عز وجل وهو الذي من على المؤمنين ببعث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كما قال الله تعالى:« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته » فالمنة لله وهو المان سبحانه وتعالى والمتفضل ومن أعظم مننه على عباده وأجلها قدرا وأرفعها شأنا مبعث الرسول الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

س٤ : أحسن الله إليكم يقول ماذا يفعل الذي يوفق للعلم ولا تحصل له التقوى ولا الخشية مقابل هذا العلم؟

ج٤ : ينظر في سبب ذلك وينظر أيضا في أبواب العلم المفيدة في هذا الجانب وما فرط فيه من تحصيله منها واستفادته منها ويحرص على الدعاء فهذه ثلاثة جوانب ينبغي مراعاتها في هذا الباب نعم .

س٥ : أحسن الله إليكم يسأل عن دعاء الاستخارة متى يقرأ هل في داخل الصلاة أم في خارجها؟

ج٥ : الأمر في ذلكم واسع سواء دعى بالدعاء قبل أن يسلم وهو قول لأهل العلم أو أتى به بعد أن يسلم فالأمر في ذلكم واسع نعم .

س٦ : أحسن الله إليكم يسأل عن تسمية البنت إيمان؟

ج٦ : مثل هذه الأسماء جاء في السنة النهي عن نظائر لها لما في هذه الأسماء من تزكية والله سبحانه وتعالى يقول:«فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى» وإذا قيل لأحد أمؤمن أنت يقول مؤمن إن شاء الله لأن الإيمان يشمل الدين كله بتفاصيله وحقائقه يتناول ذلك كله نعم .

س٧ : أحسن الله إليكم يقول نرجوا من فضيلتكم توضيح ما جاء في قصة موسى والعبد الصالح في قضية إرجاع الإرادة في قوله فأردت أن أعيبها وفي الثانية فأراد ربك أن يبلغا أشدهما؟

ج٧ : هذه الثلاثة مواضع وردت في هذه السورة في قصة موسى عليه السلام مع الخضر وفي كل موضع منها اختلفت الصياغة فمرة قال في الموضع الأول أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها لأن هذا عمل نسبه لنفسه عيب في السفينة وخرق لها فنسبه لنفسه أي نسب هذا العيب وهذا الخلل الذي يترتب عليه مصلحة لأصحاب السفينة في هذا الموضع نسبه إلى نفسه قال فأردت أن أعيبها وفي الموضع الثاني وهو قتل الغلام قال فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا وفي الموضع الثالث قال أراد ربك فالشاهد أنه في كل موضع أشار إلى معنى متعلق بذلك ويمكن مراجعة كلام أهل العلم في ذلك والإمام الصنعاني رحمه الله له رسالة أفردها في هذه الكلمات الثلاث فأردنا فأراد ربك فأردت أفردها في رسالة وبين ما فيها من حكم ولا أدري هل طبعت سبق أن قرأتها كاملة مخطوطة لكن جمع فيها هذه المعاني الثلاث وما فيها من الحكم هذا ونسأل الله الكريم أن ينفعنا جميعا بما علمنا وأن يزيدنا علما وأن يصلح لنا شأننا كله وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

انتهى الشريط السادس والأخير

اهـ – شرح الوصية الصغرى لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى – ونسأل الله التوفيق والسداد والمزيد من فضله والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الجمعة الموافق ٢٢ رجب ١٤٣٢ هـ

اهـ